

مَجَلة شَهرِيَّة اسْلاميَّة أَدبيَّة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٤)	صفر المظفر ١٤٣٣ ھ
العدد الأول	يناير ٢٠١٢ م

المشرف العام: عبد اللّٰه سعود بن عبد الوحيد

رئيس التحرير: أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صوت الأمة بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ریوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الهند (١٥٠) روبية، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخة (١٥) روبية

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

محتويات العدد

الافتتاحية

وحدة الأمة – أمام تحديات

(٢-٢)

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

السبيل إلى التغيير:

بعد اطلاعنا على مظاهر وأشكال التفرق والتحزب الذي وقعت فيه الأمة، وعلى اتساع حجم المأساة لابد من النظر في أمر التغيير والإصلاح، والبحث عن السبل الجادة لإرجاع الأمور إلى نصابها. فإذا عرف الداء وجب البحث عن الدواء. ووجب أن لا نستسلم للواقع، ونجلس مكتوفي الأيدي. فإن أي مرض إذا ترك وشأنه ولم يعالج فإنه لابد أن يزداد شيئا فشيئا، ثم يصل إلى مرحلة تستعصي على مهرة الأطباء فضلا عن عامتهم.

وإننا نعلم علم اليقين بأن ديننا هو صمام الأمان من كل شر وفتنة، وتعاليمه فيها الكفاية لحل كل مسألة وأزمة. فما من خير إلا وأرشدنا إليه وما من شر إلا وحذرنا منه، ولله الحمد.

نجد آيات القرآن الكريم تعرضت لهذا الموضوع وتناولته من مختلف النواحي والجوانب، إنها أكدت على التآلف والتآخي بدءا من البيت والأسرة ومرورا بالمجتمع والقبيلة وانتهاء على الامة ككل. وحذرت من كل ما يعكر صفو هذا التآلف والتلاحم، فعلى مستوى البيت والأسرة نرى أن الآيات الكريمات تأمر بالصلح والإصلاح عند تولد أي نزاع بين الزوجين: {وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا، والصلح خير، وأحضرت الأنفس الشح – النساء: ١٢٨} وإذا لم يستطع الزوجان لتسوية النزاع بينهما فإن القاضي يبعث حكمين بينهما: {وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها، إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما – النساء: ٣٥} وهكذا أرشدنا القرآن ألا نترك بيوت المسلمين تعيش على النزاع والخصومة.

وقد حث نبينا صلوات الله وسلامه عليه على الإصلاح بين اثنين من أفراد المجتمع بقوله: "على كل سلامى من الناس صدقة .. " وذكر أن من هذه الصدقات: "أن تعدل بين اثنين".

وكذلک الإصلاح واجب على المسلمين إذا حصل نزاع بين قبيلة وقبيلة، أو بين جماعة وجماعة: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون — الحجرات: ٩—١٠}.

فالمؤمنون كلهم إخوة بعضهم لبعض، لا في النسب بل فيماهو أقوى من النسب وهو الإيمان، ولا يليق بالإخوة أن يبقوا مختلفين. أو أن يبقوا على هذه الحالة، لأن هذا النزاع سيتأجج ويزداد، وبالتالي يمزق الأمة.

ولذلک جاءت الآيات التالية محذرة عن الأسباب التي تزرع العداوة بين القلوب وتفضي إلى الخصومة والتفرق والبغضاء: {يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم....... إلى قوله تعالى..... ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه، واتقوا الله إن الله تواب رحيم - الحجرات: ١١—١٢}.

وللحفاظ على وحدة الأمة جاءت تاكيدات متكررة بأساليب متنوعة:

{إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون — الأنبياء: ٩٢}

{ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم — الأنفال: ٤٦}

{واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا — آل عمران: ١٠٣}.

{إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء — الأنعام: ١٥٩}.

{شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليک وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه — الشورى: ١٣}.

وتشمل الآيات التالية على طريقة معالجة حالات التفرق والاختلاف:

{فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلک خير وأحسن تأويلا — النساء: ٥٩}.

{وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله — الشورى: ١٠}.

{وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله – الأنعام: ١٥٣}.

{لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أومعروف أو إصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما – النساء: ١١٤}.

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الكثيرة في هذا الموضوع قوله عليه الصلاة والسلام:

"أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة". (رواه أحمد وغيره، صحيح الجامع الصغير: ٢٥٤٩)

فهذا الحديث يخبر بوقوع "الاختلاف الكثير" وفي الوقت نفسه يرشد إلى سبيل التغلب على هذا الاختلاف والقضاء عليه، وهو الرجوع إلى سنة المصطفى وسنة خلفائه الأخيار والاستمساك بها بكل قوة إلى حد العض عليها بالنواجذ.

وقد بلغ من تحذيره صلى الله عليه وسلم من الاختلاف والبغضاء أن أخبر بأنه يحول دون مغفرة الله للذنوب فقال: "تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد مسلم لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا". (صحيح مسلم)

النظر في فوائد الاجتماع وعواقب الاختلاف:

مما لا يختلف فيه اثنان أن الاجتماع والتآلف أمر محمود، والتفرق والاختلاف شيء مذموم، فالاجتماع والوفاق يعني القوة والشجاعة والغلبة ورباطة الجاش والهمة العالية والتقدم والتفوق، أما الاختلاف والخصام فيعني الوهن والجبن والضعف والاستسلام والتفكك والتخاذل والتخلف. ولا يزال الناس يحكون – عبر الزمن – قصصا واقعية ومصطنعة تشمل على إيضاح منافع الاجتماع والتآخي، ومضار الاختلاف والتحزب. وقد نظم الشعراء هذه المعاني في أبياتهم وقصائدهم، فقد قال قائلهم:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحادا

وقال آخر:

إذا ما أراد الله ذل قبيلة رماها بتشتيت الهوى والتخاذل

ومن الأمثال السائرة قولهم: "إذا تفرقت الغنم قادتها العنزة الجرباء".

كما لا ننسى المقولة الشهيرة: "فرق تسد" وما تحويه من الإشارة البليغة إلى عواقب التفرق ومضار الاختلاف.

إننا نرى في عصرنا أن الأمم تعود إلى رشدها، وترمي الخلافات القديمة وراء ظهرها، بعدما ذاقت مرارة التفرقة والخصام طيلة القرون والأزمان، فالألمانيتان—الشرقية والغربية—اتحدتا، واليهود والنصارى تعانقوا فيما بينهم ناسين أو متناسين كل أنواع الاختلاف العقدية والدينية واللغوية والثقافية. ونحن الأمة الواحدة صاحبة إله واحد وكتاب واحد ورسول واحد ودين واحد وقبلة واحدة لا زلنا في توسيع الخرق علينا وتعميق الخلافات فيما بيننا بأعمالنا وأقوالنا وتصرفاتنا. فهل من مذكر؟

النظر في كثرة دواعي الاجتماع وقلة دواعي الاختلاف:

إن الجماعات والطوائف المتفرقة—سواء كانت دينية أو سياسية أو فكرية—تعودت أن تنظر بعضها إلى بعض على أنها تخالفها في طول الطريق، وأنها هي منافستها والقائمة في وجهها والخطر الأكبر عليها، لذا يجب على كل فرد من أفراد الجماعة التنبه لتحركات وأعمال تلك الجماعة المنافسة وبذل كافة الجهد لإفشال جهودها بهذا الصدد. وإذا كان الأمر بهذه الصورة فهل يعقل أن هذه الجماعات والقائمين عليها قد يتفكرون في إمكانية التقارب والتلاقي فيما بينهم على أمور تهمهم جميعا، بمعنى أن هناك نقاطا للتجمع إلى جانب نقاط الاختلاف، وأن هناك أمورا تجمعهم أيضا إن كانت أمور تسبب الفرقة بينهم. فعلى الجميع أن يذكروا ويعوا أن عوامل الاتفاق أكثر بكثير من عوامل الاختلاف، مهما كان الاختلاف كبيرا وعميقا، فعوامل التفرق تكون محصورة في دائرة لا تتجاوزها، أما عوامل الاتفاق والوئام فهي متنوعة متشعبة تحيط بمعظم نواحي الحياة والاجتماع، ولكن العداوة والبغضاء تعمي الإنسان وتجعله لا يرى إلا ما يعمق البعد بينه وبين من اعتبره مخالفا له:

وعين الرضا من كل عيب كليلة ألا إن عين السخط تبدي المساويا

لتتذكر ويتذكر جميع المتخاصمين أن إلهنا واحد، وديننا واحد، ورسولنا واحد، وكتابنا واحد، وقبلتنا واحدة، ونحن جميعا عبيد الله وإماؤه، وإليه مرجعنا جميعا. وما نحن نختلف فيه سواء كان من الأمور الدينية أو الاجتماعية أو السياسية فهو محدود في أمور ونقاط، وما عدا هذه فجميع الأمور مشتركة، والكل يواجهها على حد سواء. فسلامة الإيمان وسلامة العاقبة مطلب الجميع، والصحة والعافية في الدين والدنيا والأهل والمال بغية كل مؤمن، والعلم نور للجميع، والجهل شين للكل، وما من إنسان على وجه هذه الكرة الأرضية إلا ويسعى للحياة الكريمة، ويكدح في الحصول على الرزق الهنيء، والفقر والمرض والجهل ثالوث ينغص حياة الجميع. وما من عاقل إلا وينفر قدر جهده من هذا الثالوث الخطير. والمخدرات والرشوة والفساد المالي والإداري أقضت مضاجع الناس على اختلاف مستوياتهم وانتماءاتهم، وهناك عادات وتقاليد اجتماعية متعلقة بمختلف المواقع والمناسبات ما أنزل الله بها من سلطان، وهي منتشرة في المجتمعات انتشارا مدهشا لذوي العقول والفطر السليمة، وهي لا تزال في ازدياد وانتشار مستمر على غفلة من أولي الأمر والدعوة والإصلاح، ورغم رفع الشعارات والنعرات لحقوق الإنسان وحقوق النسوة وحقوق الأطفال يوجد عدد كبير من المظلومين البائسين يعاني من أنواع القهر والبغي والقمع والاضطهاد، من غير أن يجد من يقف بجانبه من الأفراد والهيئات لنصرته والدفاع عنه وعن حقوقه.

فمتى تجد هذه وما يشابهها من الموضوعات والمسائل حظها من العناية والاهتمام لدى أمة يولي أفرادها عنايتهم لأتفه الأمور الاجتماعية والسياسية وأبسط المسائل الدينية والفكرية والحزبية، ويبذلون أقصى جهدهم لتكون رايتهم فقط هي المرفوعة وكلمتهم فقط هي المسموعة، وراية مخالفيهم في تلك الأمور والمسائل مخفوضة، وأصواتهم فاقدة التأثير.

لندرك تمام الإدراك أن الأمور لن تتغير إلا بالرجوع إلى حوزة الدين، إلى كتاب الله وسنة رحمة للعالمين، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وأننا نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

أمة الإسلام! لقد وصفت في كتابک الخالد أنک "خير أمة أخرجت للناس" ، وأن المنتمين إليک "أشداء على الكفار رحماء بينهم" و "أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين" ووصفت على لسان رسولک بأن جميع أفرادک "كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" كما أخبر عن أشد الناس عداوة لک أن "بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى" ألم يأن لک أن تصغي إلى صوت العقل والمنطق، وتعودي إلى رشدک وصوابک ، وتسترجعي مجدک ورقيک، بعد نبذ كل أنواع التفرقة والخصام، والابتعاد عن كل ألوان الشقاق والتنافر والتشرذم ، وتنصتي إلى النداءات المتكررة من الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام:

"لا تباغضوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا وكونوا عباد الله أخوانا".

"المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا".

"يد الله على الجماعة".

"عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد، من أراد بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة".

إخوة الإسلام! الله الله أن يؤتي الإسلام من قبل أحد منا، وأن يؤثر أحد منا مصلحته الفردية على مصلحة الجماعة والأمة. إن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة وجمع الشمل يتطلب الإيثار والتضحية والصبر والمصابرة، وعلماء الأمة ودعاتها وقادتها فيهم الأمل بعد الله جل شأنه أنهم ينظرون في الموضوع بجدية واهتمام، ويسعون لإنقاذ الأمة من مهاوي التفرقة والتخاذل والشقاق إلى آفاق الاتحاد والتضامن والوفاق.

اللهم إنا نسألک بأسمائک الحسنى وصفاتک العلى أن تؤلف بين قلوبنا وتصلح ذات بيننا، وتنصرنا على عدوک وعدونا، وتجمع قلوبنا على الحق وتبصرنا بأمور ديننا، وتنجينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنک سميع قريب مجيب.

***

التوجيه الإسلامي

الفتن من الابتلاء

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

يقول الله سبحانه في سورة الملك: "الذي خلق الموت والحياة، ليبلوكم أيكم أحسن عملا" (آية:٢)، جاء في تفسير ابن كثير: أي يختبركم، وفي "أيكم أحسن عملا" يعني خير عملا، كما قال محمد بن عجلان، ولم يقل أكثر عملا (٣٤٦/٤) وفي فتح البيان للسيد العلامة صديق حسن القنوجي يقول: "ليبلوكم" أي ليعاملكم معاملة من يختبركم وإلا فعلمه محيط بكل شيء، قال الشهاب: الاختبار يقتضي عدم علم المختبر بالكسر، بحال المختبر، بالفتح، فلهذا جعلوه استعارة تمثيلية، أو تبعية على تشبيه حالهم في تكليفه تعالى لهم، بتكاليفه، وخلق الموت والحياة لهم، وإثابته لهم وعقوبته، بحال المختبر، مع من اختبره وجربه، لينظر طاعته، وعصيانه فيكرمه أو يهينه، "أيكم أحسن عملا" فيجازيكم على ذلك، وقيل ليبلوكم ربكم: أيكم أكثر ذكرا للموت، وأحسن استعدادا، وأشد خوفا منه، وقيل: أيكم أحسن عقلا، وأسرع إلى طاعة الله وأورع عن محارمه، وقيل أخلص عملا وأصوبه، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة. (فتح البيان في مقاصد القرآن ٢٣٠/١٤)

فالله سبحانه يمتحن النفوس بالمصائب، ويختبر نقاوة جوهرها بالفتن، التي هي محك الإيمان، حتى يميز سبحانه: الخبيث من الطيب، وحتى يظهر نفاسة المعدن، بقدرة تحمله الشدائد، وثباته في مصارعة الأحداث، والصبر على البلواء.

ذلك أن من سنن الله الكونية، وحكمته سبحانه النافذة، أن يكون الابتلاء للنفوس قاعدة أساسية يبرز به نقاوة الجوهر، ومحكا متميزا تصقل به النفوس، ليبرز إيمانها، ويقوى صبرها وتحملها، حيث يقول سبحانه: "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين". (العنكبوت الآيتان: ٢-٣)

وما ذلك إلا أن دلالة الفتنة، التي وردت في كتاب الله بمشتقاتها، ما يقرب من ستين مرة، تعني ابتلاء النفوس وامتحان صراعها الباطني، بين حق يجب الخضوع له، لأنه من عند الله، ودعت إليه رسله، وبين باطل يجب البعد عنه، لأنه منهج عدو الله الشيطان وأعوانه،

ويدعون إليه، بالمغريات ، والطريق الأول المحفوف بالمكاره والثاني بالشهوات ولكي تتميز القلوب بحسن الاتجاه والقناعة، حيث تنقاد لأحد الطريقين المذكورين، عن معرفة وحسن إدراك، فإن الابتلاء هو المنعرج الذي تمتحن به النفوس، والأساس الذي يتميز به بالقدرة على التحمل.

فالإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي، ولكنه عقيدة وعمل، يؤصل العقيدة مواقف، ويمكن منهج العمل أدوار، ولا منجى للنفس البشرية، من كل ما يعترضها، ولا حماية مما قد يسلط على نزعاتها إلا بقوة الإيمان، وبالصبر وإدراك ما يعنيه هذا الإيمان، من أهمية التوجيه للخير، والتحذير من الشر، ثم بتصدي ولاة الأمر والعلماء لكل فتنة تظهر. وميزان هذا الإيمان قوة وضعفا، يرتبط بميل القلب للخير، وحب أهله والارتياح لعمله أداء واعتقادا، يقول صلى الله عليه وسلم: "تعرض الفتن على القلوب، كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين: أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة، ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا، كالكوز مجخيا، لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه (رواه مسلم في كتاب الإيمان) والفتن في تاريخ الاسلام كثيرة ومن أعظمها فتنة "البساسيري" كما قال ابن كثير .. ذلك أن الفتنة، التي هي ابتلاء وامتحان، تأتي على أنواع، ويمكن تقريبها للذهن بما يحصل للناس في حياتهم العلمية والعملية، إذ كل فرد منهم يمتحن لمعرفة المكانة التي يستحقها: تحملا وقدرة، ونجاحا أو خسارة، فالطالب يقوم إنتاجه العلمي بالاختبار، والمدرس تبرز حصيلته العلمية، وقدرته الفنية بالأداء والنتيجة، والموظف يفاضل بينه وبين الزميل المنافس، بمعايير اختبارية، وكل هذه تعتبر فتن شخصية صغيرة، إلا أن الأعظم ما كان في الدين وهكذا غيرهم كالتاجر والصانع، والمزارع والعامل، وكل ذي صنعة وحرفة، لا يمكن المفاضلة إلا بابتلاء في العمل، واختبار في المهنة، إلا أن ابتلاء الدنيا، عند ذوي العقيدة الصافية هينة عليهم.

ومثلما أن التمييز بين الخبيث والطيب، توضيح للسعادة من الشقاوة، فإننا ندرك أن الفتنة منها ما يتعلق بالشبهات التي تطرأ، ومنها ما يتعلق برغبات النفوس وجنودها، ومنها ما له رابطة بالمال والولد، ومنها ما يرتبط بالقلب، ومعرفة ما يحمله من إيمان أوشك، أو بأمور عديدة تمر في الحياة.

ولذا فإنه لا يمكن تمييز الخبيث من الطيب، إلا بالابتلاء، ولا يمكن إدراك خفايا القلب، من إيمان صادق، أو نفاق فاضح إلا بالابتلاء، كما لا يمكن معرفة صدق المحبة والولاء

لله ولرسوله ولولاة الأمر، لأن مع محك الابتلاء، كما أمر الله في أكثر من موضع في كتابه الكريم. وبرابطة الابتلاء عند المدركين يقوي الإيمان، فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر، والنفع عن الضر، واللذة عن الألم، لكان ذلك عالم غير عالمنا، بحياته المعهودة، ويكون في نشأة أخرى، غير هذه النشأة التي يتقلب فيها البشر.

ولا يتميز الضد إلا بالضد، ولا يحلو تذوق أمر من الأمور إلا بمطارحة نقيضه، ولذا كان دعاء كثير من الصالحين: اللهم أذقني حلاوة الإيمان، وحقيقة هذه الحلاوة، تتحقق وتتأصل في هذا الحديث الشريف: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا".

فمثلا: لو كان المسلمون منصورين دائما، بدون جهد، وقاهرين غالبين لكل من يقف دون دعوتهم، وعيشهم رغد بدون منغصات، فإن من ليس قصده الدين، سيدخل معهم، لينال من هذه النتائج، التي ترنو إليها النفوس، كما رأينا في قصص المنافقين، الذين فضحهم الله في القرآن الكريم، في كثير من الأعمال والأقوال، لأنهم يظاهرون رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا في المدينة، وسورة التوبة سماها بعض المفسرين الفاضحة، لأنها فضحت أعمال المنافقين، وما أحدثوا من فتن.

ولو كان المسلمون مقهورين مغلوبين دائما، حيث يدخر الله أجرهم لهم في الآخرة، ويثابون على صبرهم، فإن ذوي النفوس الضعيفة، ومن كان ينظر أولا لما هو محسوس، وعاجل الثمرة، فإنهم لن يدخلوا مع المسلمين في دينهم، وستبقى الفئة المؤمنة بربها، قليلة مستضعفة.

ولكن حكمة الله البالغة، وإرادته النافذة، اقتضت أن يكون للفئة المؤمنة، الدولة تارة، وعليهم الغلبة تارة أخرى، كما حصل في مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم، والفئات المؤمنة معه، وهذا من امتحان الله لذوي القلوب النيرة المؤمنة الصادقة، وفي كل زمان ومكان، تمر بالمسلمين حوادث، يتميز بها الصادق من الكاذب، وتكبر معالم الإيمان بدلائله، أمام تضاءل النفاق ودعاته، ولكن أهم ما يجب أن يتحلى به المؤمن الدعاء مع الصبر والاحتساب: (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون). [النساء الآية ١٠٤]

***

علوم الحديث

الوضع في الحديث

بداية الوضع ونشأته وتطوره

فضيلة الدكتور محمد إبراهيم محمد هارون المدني

كيف بدأ الوضع في الحديث وفي أي جيل نشأ وتطور؟

إن من أهم التعاليم التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم وحث أصحابه على التمسک بها، واعتنى ببيان أهميتها الصدق، فقد عرف أنه صلى الله عليه وسلم كان يتحلى بهذه الخصلة الكريمة، وكان صادقا أمينا، حتى في نظر أعدائه.

وكما أنه صلى الله عليه وسلم رغب أصحابه في الصدق وحذرهم من الكذب، حتى جعل الصدق من علامات الإيمان، والكذب من علامات النفاق، فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم: أربع من كن فيه فهو منافق خالص ...، وفيه "إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر". (١)

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذابا". (٢)

ونبه صلى الله عليه وسلم أصحابه على أن المؤمن قد يصدر منه بعض الأعمال القبيحة والأفعال الشنيعة إلا أن الكذب لا يمكن صدوره عنه، بأي شكل من الأشكال وبأي حال من الأحوال، فقد روى الإمام مالک في الموطأ مرسلا عن صفوان بن سليم، قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيكون المؤمن جبانا؟ قال: نعم، فقيل أيكون المؤمن بخيلا؟ قال: نعم، فقيل: أيكون المؤمن كذابا؟ قال: لا". (٣)

---

(١) متفق عليه: البخاري، باب علامة المنافق ١/ ح ١٥، مسلم، باب بيان خصال المنافق ١/ ح ٥.

(٢) مسلم، كتاب البر، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ٨/ ٢٩.

(٣) الموطأ، باب ما جاء في الصدق والكذب ٢/ ٢٥٤.

وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته من الكذب عليه حتى لا يتجرى أحد على ذلك، وبين العقوبة لمن يتعمد الكذب عليه فقال: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار". [١]

ولم يكتف بإخبار مجرد العقوبة، بل نبّه على أن الكذب على الرسول يختلف عن الكذب على غيره، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إن كذبا علي ليس ككذب على أحد". [٢]

وقد عاش الرعيل الأول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محاذرا الكذب مجانبا له ونشأوا تحت إشراف الصادق الأمين، وتخرجوا من جامعته، وتأسوا بتعليماته وتوجيهاته، فكانوا على جانب عظيم من التقى والورع والخشية، حتى وقعت الفتنة الكبرى وأسفرت عن شهادة الخليفة المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وعلى اثر هذه الحادثة المؤلمة ظهرت الفرق المبتدعة وأهل الأهواء الضالة، وكانوا في حاجة إلى النصوص الشرعية لتاييد عقائدهم الباطلة، ونصر آرائهم الفاسدة، فلما أعياهم أن يجدوا في القرآن ما يعتقدون، ولم يجدوا مجالا للتلاعب به، لأنه كان محفوظا في صدور المؤمنين، وأن الله وعد بحفظه وصيانته في قوله: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (الحجر: ٩) فكانت بداية الوضع في الحديث في تلك الفترة من الزمان، ولكن كتب التاريخ الحريصة على تدوين كل واقعة جليلة كانت أو حقيرة عظيمة كانت أو دقيقة، لم تسجل لنا حادثة معينة نستطيع أن نحدد بها بداية الوضع في الحديث، وكل ما جاء من ذلك أمور عامة تشير إلى أن بعض الصحابة بمن تأخرت بهم الوفاة وكذلك كبار التابعين بدأوا يتوقفون عن قبول كل حديث يروى، أو قبول رواية كل من قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج الإمام مسلم بسنده إلى مجاهد، قال: جاء بشير بن كعب العدوي إلى ابن عباس، فجعل يحدث، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال يا ابن عباس: ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع، فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله صلى الله عليه

[١] متفق عليه: البخاري: باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ٣٨/١، مسلم: المقدمة، باب التحذير من الكذب ٧/١.
[٢] متفق عليه، البخاري: باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ٣٨/١، مسلم: المقدمة، باب التحذير من الكذب ٧/١.

وسلم ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف.[١]

وقد روى رحمه الله أيضا بسنده إلى طاؤوس، قال جاء هذا إلى ابن عباس رضي الله عنه، يعني بشير بن كعب، فجعل يحدثه، فقال له ابن عباس: عد لحديث كذا وكذا، فعاد له ثم حدثه فقال له: ما أدري أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا، أم أنكرت حديثي كله، وعرفت هذا، فقال له ابن عباس: إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول، تركنا الحديث عنه.[٢]

فهذه أهم الآثار والأقوال التي اعتمد عليها كثير من الباحثين والمؤرخين، واستدلوا بها على تحديد بداية الوضع في الحديث في تلك الفترة من الزمن، وقالوا إن الوضع بدأ بمقتل عثمان رضي الله عنه، ومن ثم اختلف الناس على علي ومعاوية رضي الله عنهما وما نجم عن ذلك من وجود الخوارج والشيعة والنواصب من أهل الشام.[٣]

والذي يظهر لي أن هذه الأمور نظرية، تفتقر إلى دليل قوي تثبت به حادثة تبين أن شخصا ما وضع حديثا بعينه في تلك الفترة حتى يمكن بذلك تحديد بداية الوضع في الحديث بها.

وقد حاول بعض الباحثين إثبات بداية الوضع بحوادث ذكرت في كتب التاريخ والرجال، واستنبطوا منها أن الوضع في الحديث بدأ في تلك الفترة.

وسنذكر بعض هذه الأقوال:

الأول:

بدأ الوضع في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار).[٤]

وقالوا إن هذا الحديث يدل على أن الوضع حدث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بهذا حينما زور عليه، وإليه ذهب الأستاذ أحمد أمين.[٥]

---

[١] مقدمة مسلم، باب في الضعفاء والكذابين ومن يرغب عن حديثهم ص١٠.

[٢] مقدمة مسلم، باب في الضعفاء والكذابين ومن يرغب عن حديثهم ص١٠.

[٣] السنة قبل التدوين ص١٨٩، مقدمة علوم الحديث ص٧.

[٤] متفق عليه: البخاري: باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ٣٨/١، مسلم: المقدمة، باب التحذير من الكذب ٧/١.

[٥] فجر الإسلام ص٢١١.

الثاني:

إن الوضع في الحديث بدأ في النصف الثاني من خلافة عثمان رضي الله عنه حينما تفرق المسلمون شيعا وأحزابا، واشتعلت نار الفتنة، وأسفرت عن شهادة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويدل عليه ما حكاه أبو ثور الفهمي قال: قدمت على عثمان فصعد ابن عديس المنبر، وقال: ألا إن عبد الله بن مسعود حدثني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ألا إن عثمان أضل من عبيدة على بعلها[1] فأخبرت عثمان، فقال: كذب والله ابن عديس، ما سمعها من ابن مسعود ولا سمعها ابن مسعود من رسول الله صلى الله عليه وسلم قط، فلعل ابن عديس هذا كان أول من وضع في الحديث، وبه قال الدكتور أكرم ضياء العمري.[2]

الثالث:

بدأ الوضع في الحديث سنة أربعين أو سنة إحدى وأربعين من الهجرة بعد أن استولى الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه على زمام الحكم، وظهر عبد الله بن سبا اليهودي الماكر الذي أوقد نار الفتنة، وهاجم المنافقون الخليفة الراشد فقتلوه مظلوما، ثم تولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة، وكان ما كان بينه وبين معاوية رضي الله عنه في صفين، وافترق الناس إلى فرق وأحزاب ثم ترسب هذا الخلاف على مر الزمان حتى اتخذ الصبغة الدينية، وأقام الجميع على ذلك الخلاف آراء ومعتقدات، ركنوا إليها، ثم اتجهوا إلى كتاب الله، ولكن أعياهم أن يجدوا في القرآن ما يؤيد أفكارهم ومعتقداتهم، فلجأ عديمو الورع منهم إلى وضع الأحاديث وتوليد الأخبار، إليه ذهب كثير من الباحثين منهم الأستاذ مصطفى السباعي[3] والدكتور صبحي صالح[4] والدكتور عجاج الخطيب.[5]

(يتبع)

***

[1] كذا في اللآلي المصنوعة ١/٣١٨، وجاء في تنزيه الشريعة ١/٣٤٩ "أن عثمان أضل من عيبة على قفلها"، وفي الموضوعات لابن الجوزي ١/٣٣٥ "ألا إن عثمان أضل من عيبه على فعلها).

[2] بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٠–٢١.

[3] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٧٥.

[4] علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٤٤.

[5] أصول الحديث ص ٤١٤.

العقيدة الإسلامية

الدعوة إلى التوحيد في الكتب المقدسة

أمان الله محمد إسماعيل
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

التوحيد هو أول دعوة الرسل، ومحورها، وأساسها، ولبها وخلاصتها، وما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب إلا لأجله،[١] وهو أول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل، وهو أول واجب على المكلف، وأول الأمر وآخره،[٢] وإنه الجانب الأهم من دعوات الرسل عليهم السلام الذي عرضه القرآن علينا، وهو موضوع الصراع الدائر بينهم وبين خصومهم من المستكبرين والمعاندين من كل الأمم.[٣]

ولما أن عقيدة التوحيد هي أساس عقيدة جميع أتباع الديانات التي تنتسب إلى الديانات السماوية، وكتبهم المقدسة تصرح بهذه العقيدة، أردت الكتابة في هذا الموضوع المهم بغية إبراز الحق، ودعوة أهلها إليه، وسميته: (الدعوة إلى التوحيد في الكتب المقدسة).

خطة البحث: قسمت الموضوع إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث، وخاتمة وفهارس، وتفصيله كالآتي:

المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث وشكر وتقدير.

تمهيد: في بيان وتوضيح الكتب المقدسة المقصود بها في البحث.

المبحث الأول: الدعوة إلى التوحيد في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الدعوة إلى التوحيد في التوراة.

المبحث الثالث: الدعوة إلى التوحيد في الإنجيل.

---

[١] انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٨٨/١).

[٢] انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢١/١-٢٤).

[٣] انظر: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل للدكتور ربيع المدخلي ص:٤١.

المبحث الرابع: الدعوة إلى التوحيد في الفيدات.
المبحث الخامس: الدعوة إلى التوحيد.
خاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.
الفهارس، وفيها: فهرس المراجع والمصادر، وفهرس الموضوعات.
تمهيد: في بيان وتوضيح الكتب المقدسة المقصود بها في البحث:

أولا: القرآن الكريم: إنه لا ريب فيه أن القرآن الكريم كتاب مقدس، أنزل على رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم، فهو كلام الله لفظه ومعناه، المحفوظ إلى يوم القيامة بحفظ الله سبحانه وتعالى.

ثانيا: التوراة: التوراة هي كتاب مقدس أنزل على نبي الله موسى عليه السلام، لكنها ما بقيت على حالها، بل اليهود حرفوها وبدلوها وزادوا فيها ونقصوا منها، والمراد بالتوراة عند اليهود هي الأسفار الخمسة (التكوين-الخروج-اللاوين-العدد-التثنية) التي كتبها موسى عليه السلام[١]، ولكن قصدنا في هذا البحث المختصر مجموعة كتب العهد القديم التي يقدسها اليهود والنصارى من أسفار موسى وغيرها.

ثالثا: الإنجيل: الإنجيل كتاب الله المقدس أنزل على عيسى عليه السلام، لكن أتباعه فقدوه مبكرا، وغيروا وبدلوا، والمقصود بالإنجيل في هذا البحث هو مجموعة كتب العهد الجديد من أناجيل الأربعة والرسائل الأخرى التي يقدسها النصارى فقط غير اليهود.[٢]

رابعا: الفيدات: الفيدات هي كتب مقدسة لدى الهندوس، هم متفقون على قداسة هذه الفيدات، وهي أربع فيدات: "ريج فيدا" و"سآم فيدا" و"أتور فيدا" و"ياجور فيدا"، ويعتقد الهندوس أن الفيدا أزلي وقديم كقدم العالم، ألهمه رجل يسمونه "منو"[٣].

المبحث الأول: الدعوة إلى التوحيد في القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو أفضل كتاب أنزل على أفضل رسول، وآخِر كتاب أنزل على آخِر رسول، فيه الهدى والنور للبشرية كافة، فمن أهم ما عرض القرآن الكريم للبشرية، هو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعدم الشرك به، فقد عرض القرآن الكريم دعوة الأنبياء والرسل

---

[١] انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للدكتور سعود الخلف ص:٥٧.
[٢] انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي ص:٣٦٢.
[٣] انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للدكتور الأعظمي ص:٥٣٦.

عليهم السلام إلى توحيد الله عز وجل عاما مجملا حيث يشترك فيها جميع أنبياء الله ورسله، وخاصة على لسان بعضهم، وسأفصّلُ ذلك على النحو الآتي:

أولا: دعوات الأنبياء إلى توحيد الله بصفة عامة:

وردت مجموعة من آيات الله تبين دعوات الأنبياء إلى توحيد الله عز وجل بصفة عامة، وتفيد أن كلا منهم دعا إلى توحيد الله عز وجل، منها:

١- يقول تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}(١). فكلهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ماسواه.(٢)

٢-ويقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ}.(٣)

يعني الكتب المقدسة على خلاف ما تقولونه وتزعمون، فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ناطق بأنه لا إله إلا الله.(٤)

٢- ويقول تعالى بعد أن ذكر قصص عدد من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}.(٥)

ويقول أيضا: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}.(٦)

يعني أن دينكم يا معاشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له.(٧)

وفي معنى هاتين الآيتين قوله صلى الله عليه وسلم: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)(٨)

---

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٣٢/٢)

(٣) سورة الأنبياء: ٢٥

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٦٧/٣)

(٥) سورة الأنبياء: ٩٢

(٦) سورة المؤمنون: ٥١-٥٢.

(٧) المصدر السابق (٣٣٣/٣)

(٨) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب رقم (٤٨) ص: ٥٢٧، رقم: ٣٤٤٣.

٤- ويقول تعالى عن أولي العزم من الرسل: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}[1][2].

يقول ابن كثير: (والذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له)[3]

تلك هي دعوة الأنبياء جميعا وعلى رأسهم أولو العزم منهم، الذين يبلغ عددهم أربعة وعشرين ألفا ومائة ألف يسيرون في دعوتهم في منهج واحد، وينطلقون من منطلق واحد وهو التوحيد، أعظم القضايا والمبادئ التي حملوها إلى الإنسانية جميعا في جميع أجيالهم ومختلف بيئاتهم وبلدانهم وأزمانهم.[4]

ثانيا: دعوات الأنبياء إلى التوحيد بصفة خاصة:

ولقد قص القرآن الكريم علينا دعوة بعض الأنبياء إلى توحيد الله عز وجل، وبراءتهم من الشرك وأهله، وما لاقوا في هذا المجال من المصائب والأذى والسخرية، ولكنهم وقفوا أمامها بهذه الدعوة وبهذا المنهج الذي رسم الله لهم، فالدعوة إلى توحيد الله تعالى كانت مهمة الرسل الأساسية.

وهنا نعرض نماذج لدعوات بعض الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام إلى توحيد الله:

١- دعوة نوح عليه السلام إلى التوحيد:

نوح عليه السلام أبو البشر الثاني،وأول رسول إلى أهل الأرض،عاش عمرا مديدا،ودهرا طويلا، ألف سنة إلا خمسين عاما، لبثها في دعوة قومه إلى توحيد الله عز وجل، وإخلاص العبادة له، لا يكل ولا يمل، ليلا ونهارا سرا وجهارا.[5]

يقول تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}.[6]

---

[1] سورة الشورى: ١٣

[2] انظر للتوسع: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ص: ٢٤-٢٥، مكتبة دار الأصالة، ط:٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

[3] تفسير القرآن العظيم (٤٩٧)

[4] انظر: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله للمدخلي ص: ٤١-٤٤

[5] انظر: المصدر السابق.

[6] سورة المؤمنون: ٢٣

٢-دعوة هود عليه السلام إلى التوحيد:

يعرض القرآن الكريم لنبي الله هود عليه السلام وجهاده في الدعوة إلى توحيد الله، يقول تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ}.[١]

٣-دعوة صالح عليه السلام إلى التوحيد:

ويعرض القرآن الكريم لنبي الله صالح عليه السلام، وجهاده في الدعوة إلى التوحيد، يقول سبحانه: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}.[٢]

٤-دعوة شعيب عليه السلام إلى التوحيد:

ويعرض القرآن الكريم لنبي الله تعالى شعيب عليه السلام، وجهاده في الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، فيقول سبحانه: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}.[٣]

٥-دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله عز وجل:

ويعرض القرآن الكريم لأبي الأنبياء ودعوته التوحيدية، حيث يشنها حربا على الأصنام وكل المعبودات الباطلة، يقول سبحانه: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ...إلى أن قال: قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.[٤]

ويقول تعالى عن براءته من الشرك وأهله: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}.[٥]

دعوة حارة قوية متدفقة إلى توحيد الله وإخلاص الدين له ونبذ الشرك ورفضه.[٦]

---

[١] سورة هود: ٥٠

[٢] سورة هود: ٦١

[٣] سورة هود: ٨٤

[٤] سورة الأنعام: ٧٤-٧٩

[٥] سورة الممتحنة: ٤

[٦] انظر: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله للمدخلي ص: ٥٥

٦- دعوة يوسف عليه السلام إلى توحيد الله عز وجل:

يقول تعالى مبينا دعوة يوسف عليه السلام إلى عبادة الله تعالى: {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}[١]، فهذا المظلوم يبدأ دعوته في السجن بالتوحيد وإخلاص العبادة لله.[٢]

٧- دعوة موسى عليه السلام إلى توحيد الله عز وجل:

فموسى عليه السلام نرى دعوته تتجه إلى التوحيد، فكانت دعوته كغيرها من دعوات آبائه وإخوانه من الأنبياء، لقد لقنه ربه أصل التوحيد واصطفاه لحمل رسالته والقيام بعبادته، يقول تعالى: {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي}.[٣]

هكذا في مفتتح رسالته تملى عليه عقيدة التوحيد ويكلف شخصيا أن يقوم بها في واقع نفسه ويتمثلها في حياته.

وحينما طلبت بنو إسرائيل من نبي الله موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلها كما لهؤلاء المشركين آلهة، قال لهم عليه السلام ردا عليهم كما يحكي الله عز وجل عنه: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، إِنَّ هَـؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.[٤]

٨- دعوة عيسى عليه السلام إلى توحيد الله عز وجل:

وقد بين لنا القرآن أن خلاصة دعوة عيسى عليه السلام ولبها هي الدعوة إلى التوحيد والعبادة له سبحانه، يقول تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[٥].

---

[١] سورة يوسف: ٣٦-٤٠

[٢] انظر في ذلك كتاب: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ص: ٦٤

[٣] سورة طه: ١٢-١٣.

[٤] سورة الأعراف: ١٣٨-١٣٩.

[٥] سورة المائدة: ١١٤-١١٧

فما قال نبي الله عيسى عليه السلام لقومه إلا ما أمرهم الله تعالى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذوا أحدا إلها من دون الله تعالى، وكان -عليه السلام- شهيدا عليهم على ذلک ما دام فيهم.

٩- دعوة سيد الأنبياء وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم إلى التوحيد:

بدأ دعوته صلى الله عليه وسلم بما بدأ به كل الأنبياء وانطلق من حيث انطلقوا بدعواتهم من عقيدة التوحيد والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده، من لا إله إلا الله محمد رسول الله.

لقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته بهذا الأصل، فأول ما طرق مسامع قومه (قولوا لا إله إلا الله)، فقال المتكبرون منهم: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}.[1]

لقد كلف الله هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم تكليفا خاصا أن يقول بهذا الأصل العظيم، يقول تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْکَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ، أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}.[2]

كما أمره أن يقوم بدعوة الناس جميعا إلى تحقيق هذا المبدأ والنهوض به، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[3]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا.

فالحاصل: أن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام كلهم من آدم إلى نبينا محمد صلوات الله عليهم أجمعين دعوا إلى توحيد الله وعبادته وحده،وكان هذا هو أهم مهماتهم،وأصل أصولهم، وأسمى أهدافهم، وأشرف غاياتهم وأساس عقيدتهم[4].

(يتبع)

***

[1] سورة ص~:٥
[2] سورة الزمر:٢-٣.
[3] سورة البقرة:٢١.
[4] انظر للتوسع كتاب: التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تصحيح: محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٠هـ، ودعوة الرسل إلى الله تعالى لمحمد أحمد العدوي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، والعقيدة الإسلامية وجهود علماء المسلمين في تقريرها والدفاع عنها حتى نهاية العصر الحديث للدكتور عطا الله بخيب حماد المعايطة ص:٣٦-٥٢، دار الآفاق الفكرية، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

آداب إسلامية

آداب صلاة الكسوف

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذه كلمة موجزة في آداب صلاة الكسوف، أريد أن أقدمها بين يدي القارئ الكريم ليعرف جيدا آداب وسنن صلاة الكسوف في الإسلام، ليعمل بموجبها ويأخذ بها. فأقول وبالله التوفيق والعصمة.

قال أمير الشارحين النووي: "واعلم أن صلاة الكسوف رويت على أوجه كثيرة، ذكر مسلم منها جملة، وأبوداود أخرى، وغيرهما أخرى، وأجمع العلماء على أنها سنة، ومذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء أنه يسن فعلها جماعة، وقال العراقيون فرادى، وحجة الجمهور الأحاديث الصحيحة في مسلم وغيره، واختلفوا في صفتها فالمشهور في مذهب الشافعي أنها ركعتان في كل ركعة قيامان وقراءتان وركوعان، وأما السجود فسجدتان كغيرها، وسواء تمادى الكسوف أم لا، وبهذا قال مالك والليث وأحمد وأبوثور وجمهور علماء الحجاز وغيرهم، وقال الكوفيون: هما ركعتان كسائر النوافل عملا بظاهر حديث جابر بن سمرة وأبي بكرة أن النبي ﷺ صلى ركعتين. وحجة الجمهور حديث عائشة من رواية عروة وعمرة وحديث جابر وابن عباس وابن عمرو بن العاص أنها ركعتان في كل ركعة ركوعان وسجدتان، قال ابن عبد البر: وهذا أصح ما في هذا الباب. قال: وباقي الروايات المخالفة معللة ضعيفة، وحملوا حديث ابن سمرة بأنه مطلق وهذه الأحاديث تبين المراد به، وذكر مسلم من رواية عن عائشة وعن ابن عباس وعن جابر ركعتين في كل ركعة ثلاث ركعات، ومن رواية ابن عباس وعلي ركعتين في كل ركعة أربع ركعات، قال الحفاظ: الروايات الأول أصح، ورواتها أحفظ وأضبط، وفي رواية لأبي داود من رواية أبي بن كعب ركعتين في كل ركعة خمس ركعات، وقد قال بكل نوع بعض الصحابة، وقال جماعة من أصحابنا الفقهاء المحدثين وجماعة من غيرهم: هذا الاختلاف في الروايات بحسب اختلاف حال الكسوف، ففي بعض الأوقات تأخر انجلاء الكسوف فزاد عدد الركوع، وفي بعضها أسرع الانجلاء فاقتصر، وفي بعضها توسط بين الإسراع والتأخر فتوسط في عدده، واعترض الأولون على هذا بأن تأخر الانجلاء لا يعلم في أول الحال ولا في الركعة الأولى، وقد اتفقت الروايات على أن عدد الركوع في الركعتين سواء، وهذا يدل على أنه مقصود في نفسه منوي

من أول الحال، وقال جماعة من العلماء منهم إسحاق بن راهويه وابن جرير وابن المنذر: جرت صلاة الكسوف في أوقات، واختلاف صفاتها محمول على بيان جواز جميع ذلك، فتجوز صلاتها على كل واحد من الأنواع الثابتة، وهذا قوي والله أعلم". (١)

سن الإسلام آدابا وسننا تتعلق بصلاة الكسوف أذكر من أهمها فيما يلي:

١- يسن فعل صلاة الكسوف جماعة وفرادى. (٢)

٢ - السنة أن يصليها في المسجد، لأن النبي ﷺ فعلها فيه، قالت عائشة: خسفت الشمس في حياة رسول الله ﷺ فخرج إلى المسجد فصف الناس وراءه. (٣)

٣- وتشرع في حق النساء لأن عائشة وأسماء صلتا مع رسول الله ﷺ. (٤)

٤- ويسن أن ينادى لها "الصلاة جامعة" لما روي عن عبد الله بن عمرو، قال: "لما كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ نودي بالصلاة جامعة". (٥)

ولا يسن لها أذان ولا إقامة، لأن النبي ﷺ صلاها بغير أذان ولا إقامة، ولأنها من غير الصلوات الخمس فأشبهت سائر النوافل. (٦)

٥ - إن المستحب في صلاة الكسوف أن يصلي ركعتين يحرم بالأولى ويستفتح ويستعيذ ويقرأ الفاتحة وسورة البقرة أو قدرها في الطول، ثم يركع فيسبح الله تعالى قدر مائة، ثم يرفع فيقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، ثم يقرأ الفاتحة وآل عمران أو قدرها، ثم يركع بقدر ثلثي ركوعه الأول، ثم يرفع فيسمع ويحمد، ثم يسجد فيطيل السجود فيهما، ثم يقوم إلى الركعة الثانية، فيقرأ الفاتحة وسورة النساء، ثم يركع فيسبح بقدر ثلثي تسبيحه في الثانية، ثم يرفع فيقرأ الفاتحة والمائدة، ثم يركع فيطيل دون الذي قبله، ثم يرفع فيسمع ويحمد، ثم يسجد فيطيل فيكون الجميع ركعتين في كل ركعة قيامان وقراءتان وركوعان وسجودان، ويجهر بالقراءة ليلا كان أو نهارا، وليس هذا التقدير في القراءة منقولا عن أحمد، لكن قد نقل عنه أن الأولى أطول من الثانية. وجاء التقدير في حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قام قياما طويلا نحوا من سورة البقرة. متفق عليه. (٧)

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢/٢٩٥، طبع الهند.

(٢) المغني ٣/١٥٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٤٣) ومسلم (٢/٦١٩) وأبو داود (١ح١١٨٠) وابن ماجه (١/ح١٢٦٣ بلفظ كسفت) وأحمد (٦/٨٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٤٦، ٤٧) ومسلم (٢/٦٢٤) وأحمد (٦/٣٤٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٤٥) ومسلم (٦٢٧٢) وأحمد (١٧٥٢، ١٢٢٠).

(٦) المغني ٣/١٥٣.

(٧) المغني ٣/١٥٣، ١٥٤.

٦– ويستحب أن يجهر في صلاة الخسوف بالقراءة، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ جهر في صلاة الخسوف.[١]

٧– ومهما قرأ به جاز سواء كانت القراءة طويلة أو قصيرة، لما روت عائشة أن رسول الله ﷺ كان يصلي في كسوف الشمس والقمر أربع ركعات في أربع سجدات، وقرأ في الأولى بالعنكبوت والروم وفي الثانية بـ يس.[٢]

٨– ويسن أن يخطب الإمام بعد الصلاة لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ انصرف وقد انجلت الشمس فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا، ثم قال: يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا". (٣)

٩– ويستحب ذكر الله تعالى والدعاء والتكبير والاستغفار والصدقة والعتق والتقرب إلى الله تعالى بما استطاع لخبر عائشة المتقدم، ولخبر أبي موسى: "فافزعوا إلى ذكر الله تعالى ودعائه واستغفاره". (٤)

١٠– ووقت صلاة الكسوف من حين الكسوف إلى حين التجلي، فإن فاتت لم تقض، لأنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة حتى تنجلي". (٥)

١١– وإذا اجتمع صلاتان كالكسوف مع غيره من الجمعة أو العيد أو صلاة مكتوبة أو الوتر بدأ بأخوفهما فوتا، فإن خيف فوتهما بدأ بالصلاة الواجبة، وإن لم يكن فيهما واجبة كالكسوف والوتر أو التراويح بدأ بآكدهما كالكسوف والوتر بدأ بالكسوف، لأنه آكد، ولهذا تسن له الجماعة، ولأن الوتر يقضى وصلاة الكسوف لا تقضى.[٦]

***

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٤٩) ومسلم (٢/٦٢٠).
(٢) أخرجه الدارقطني (٢/٦٤).
(٣) متفق عليه.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٤٨) ومسلم (٢/٦٢٨، ٦٢٩) والنسائي (٣/١٥٣، ١٥٤).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٤٨، ٤٩) بلفظ فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي، ومسلم (٢/٦٢٢) وأبو داود (١/ح١١٧٨) وأحمد (٣/ ٣٤٩، ٣١٨)
(٦) المغني (٣/١٦٠).

شخصية إسلامية

وداعا "سلطان الخير"

الدكتور فوزان أحمد مقتدى حسن
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها
الجامعة الملية الإسلامية – نيو دلهي

"إن فترة قضاء الأيام بالمستشفى لحظات امتحان أمام الخالق البارئ عز وجل، كما أنها كانت في الوقت نفسه لحظات تأمل وتفكر وتدبر، فنحمد الله أن خصنا بالإسلام، وجعلنا أسرة واحدة، حاكما ومحكوما، يرحم كبيرنا صغيرنا، ويوقر صغيرنا كبيرنا". [١]

"أحمد الله حمدا كثيرا، وأشكره على آلائه ونعمه الجزيلة، أحمد الله أن ابتلاني ليختبرني، أحمد الله على أن أصابني بعارض لأتذكر إخوتي ممن هم على فراش المرض". [٢]

آخر كلمة ارتجالية ألقيت كوصية للأخ الإنسان من قبل النفس المطمئنة الراضية المرضية والراجية المشتاقة إلى لقاء ربها في المرض الذي ابتلاها ربها لزيادة حسناتها في ميزانها. وقد تلقى العالم النبأ المحزن بإعلان الديوان الملكي صباح السبت مبكرا في البيان الآتي:

ببالغ الأسى والحزن ينعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود أخاه وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام الذي انتقل الى رحمة الله تعالى فجر هذا اليوم السبت الموافق ١٤٣٢/١١/٢٤هـ خارج المملكة إثر مرض عانى منه - يرحمه الله - وسيصلى عليه - إن شاء الله - بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء الموافق ١٤٣٢/١١/٢٧هـ في مسجد الامام تركي بن عبدالله بمدينة الرياض [٣].

---

[١] جريدة "الشرق الأوسط": الثلاثاء ٢٥/أكتوبر ٢٠١١م، العدد: ١٢٠١٩.
[٢] نفس المصدر.
[٣] الموقع الرسمي على الإنترنت لأمانة منطقة الرياض. وجريدة الرياض: الأحد، ٢٣/أكتوبر ٢٠١١م، العدد: ١٥٨٣٦.

و لم يكن هذا الإعلان غير متوقع لأن الخبر قد تسرب من قبل، ونشرته وسائل الإعلام المختلفة. وكان العالم عارفا بالمرض الذي عانى منه الأمير سلطان بن عبد العزيز منذ وقت طويل وأمضى زمنا غير قصير في العلاج خارج المملكة، وأجبر هذا المرض على الاختفاء من أعين الناس وعدم الحضور في المناسبات الداخلية والخارجية.

وبهذا الإعلان عم الحزن السعودية خاصة والبلدان العربية والإسلامية عامة. ولم يكن من السهل على الشعب السعودي أن يتحمل هذا النعي وصدمة الفراق، ولكن الإيمان بالله والتسليم لقضاء القدر واحتساب الأجر من عند الله على المصيبة حمله على أن لا يقول إلا إنا لله وإنا إليه راجعون. وقد شعر السعوديون استحقاقهم بالعزاء، وطبعا عزاهم اعترف به كل من اطلع على الفاجعة المؤلمة، ولكن الناس في البلدان العربية الأخرى يجدون أنفسهم أيضا مشاركين في مصابهم وعزائهم، لأن الأمير الراحل كان يملك نفسا يعم نفعها في المملكة وخارجها.

وكثير من الناس يرون أن في الموت نهاية قصة، ولكن البعض الآخرين يعتبرونه بداية باب جديد يختلف من الحياة الدنيوية. وكان الأمير الراحل من الأشخاص الذين يخلد التاريخ سيرتهم في الذاكرة. ويفيض الناس دموعا كثيرة على فراقه، لا لأنه كان أميرا ووليا للعهد أو وزيرا في الحكومة السعودية، بل لأعماله الإنسانية الكبيرة والإنجازات الخيرية المتعددة، بما فيها رعايته للمؤسسات الخيرية الرائدة بسخاء وكرم. ونظرا إلى فضل هذا البطل السخي وامتثالا لما أمر الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم "اذكروا محاسن موتاكم" نريد أن نسرد في السطور التالية من محاسن هذا الفقيد التي اتفق عليها الداني والقاصي والعدو والصديق.

مولده ونشأته:

ولد الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود في ١٦ من شهر شعبان ١٣٤٩هجرية الموافق ٥/من شهر يناير/كانون الثاني ١٩٣١م بمدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية[١]، ونشأ وترعرع في أحضان والده الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله رحمة واسعة- مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة (الدولة السعودية الثالثة)،

[١] مجلة "عين اليقين": ٢٨/أكتوبر ٢٠١١م.

وحظي برعاية والده كالأعضاء الآخرين من أسرته في آل سعود. وكان لوالده دور كبير في تكوين شخصيته السياسية. وقرأ الأمير القرآن الكريم وتلقى العلوم الابتدائية والعربية على يد كبار العلماء والمعلمين. ثم واصل تعليمه ووسع معرفته وثقافته بالمطالعة المكثفة في مجالات شتى. وهكذا تربى تربية صالحة ونشأ نشأة دينية نلمس أثرها واضحا جليا في أعماله الخيرية وتصرفاته اليومية. وهكذا علاقته مع الناس وحياته العامة كانت كلها مرآة صافية تعكس فيها قيم ومبادئ الدين الحنيف.

أثر والده وإخوته في تربيته:

كما ذكرنا آنفا أن والده الملك عبد العزيز كان أول مرب له. وهو كان ثاقب النظر وواسع الخبرة في مجال السياسة، ولذا تربيته تمتاز بالأثر البالغ في إكساب الخبرة السياسية والتجربة العملية، وهي ساعدته في الحياة الآتية عند التقلب في المناصب المختلفة والتطبيق لشريعة الله والقيام بالعدالة الاجتماعية.

وبعد وفاة الملك المؤسس تولى إخوته الحكم، فواكب ستة منهم في جزر السياسة ومدها وصفوها وكدرها، ورافق أخاه الملك فيصل في جميع الجولات الخاصة والدولية ووسع آفاقه السياسية. وهنا لا يتسع المجال لذكر دور الأمير مع كل الإخوة الملوك ولا نرى من الممكن أن نعد ونحصر مساهمته وأعماله وإنجازاته أثناء حكمهم. ولكن نستطيع أن نقول إن الخبرة التي اكتسبها من والده وإخوته أهلته لحل معضلات المسؤولية، والقيام بالمهمات الكبيرة على الصعيد الوطني والدولي والخوض في المعارك العربية والعالمية.

واحتل الأمير منصب وزير الدفاع زمنا غير قصير، وهذا المنصب يقتضي القسوة والشدة والصرامة، أو بعبارة أخرى يمكن إن نقول أن هذه الصفات تجد سبيلها إلى المرء حينما يتولى المنصب المذكور، ولكن تختلف قضية الأمير الراحل تماما، فلا نجده متصفا بهذه الصفات، بل يتميز خلقه بالتواضع والبساطة والابتسامة دائما. وهذا الخلق يعبر شعورا داخليا بالرضا وتترتب عليه محبته للجميع، فيشترك في مجالسه الأمراء والعلماء والمسؤولين والمواطنين وأصحاب الحاجات. وهو يعطي كل شخص ما حقه من الاهتمام ويصغي إليه ويحاول حل مشكلته، وأثناء ذلك كله لا ينسى أفراد أسرته، فقد يقضي يومين في الأسبوع معهم يوما للرجال ويوما للنساء.

تتسم تصريحاته دائما بالوضوح والشفافية، ولا يوجد فيها أي نوع من الغموض والخفاء كما هو المعروف من الأمراء والحكام أنهم يطرحون أمام وسائل الإعلام من القضايا التي تخلو من التعقيدات السياسية فقط ويفضلون التجنب عن الموضوعات المتشابكة، ولكن الأمير لا يتجاهل أي سؤال موجه إليه من عامة الناس أو نقابة الصحفيين والإعلاميين ولا يماطل في الرد عليه ولو كان صعبا على بعض منها. وهذه الصراحة تأتي إليه من عمق النظر ودقة الملاحظة والانتباه في القضايا السياسية على الصعيد المحلي والخارجي. ونجد الشاهد عليه ما ذكر الدكتور عبد الله الطاير، أحد المستشارين الإعلاميين لولي العهد السعودي في حديث لجريدة "الشرق الأوسط"، بما قاله له الرئيس اليمني علي عبد الله صالح من أن ولي العهد السعودي يعرف الفعاليات اليمنية المؤثرة أكثر مما يعرفها بعض المسؤولين في الحكومة اليمنية. والدكتور الطاير عمل مع الأمير لنحو ٥ سنوات، ومن خلال هذه الفترة كان يتابع عن كثب الأحداث التي تجري داخل المملكة وخارجها وطريقة معالجتها من قبل الأمير، وهو رافقه في حلقة خاصة تعني بتعاطي ولي العهد السعودي مع وسائل الإعلام. والدكتور الطاير يضيف أنه (الأمير سلطان بن عبد العزيز) كان مطلعا على الإعلام بشكل كبير، ويسأل عن الكتاب الذين يقرأ لهم، ويسأل وينتقد أو يثني على طروحاتهم بشكل أبوي، ويقف معهم في قضاياهم وحاجاتهم الشخصية.[1]

والأمثلة كثيرة لا يستطيع المتتبع لأحواله أن يحصيها ويتجلى من خلال كلها جانبه الإنساني أكثر من جانبه السياسي وتعامله مع الناس ويبرز أنه كان أبا ومربيا مشفقا ومعنيا بأحوال الناس ورافعا حاجاتهم، وسنسرد بعضا منها في موضعها أثناء حديثنا عن الأمير الراحل لكي يعرف القارئ أنه كان "سلطان الخير" حقا بأسمى معانيه.

في مناصب الوزارة المختلفة:

إن إسهاماته في التاريخ السياسي والإداري والاجتماعي والعسكري تجدر بأن تروى للأجيال الجديدة وهي ذات أهمية بالغة لكل مهتم بالشأن السعودي. فبين مشاري الزايدي

[1] جريدة "الشرق الأوسط": ٢٥/أكتوبر عام ٢٠١١م، العدد: ١٢٠١٩.

في مقاله المعنون سلطان ... والروح السعودية المنشور في جريدة الشرق الأوسط[١] أن ميزة الأمير هي مهارته في التفاوض والوصول دوما إلى نقطة اتفاق، ونقل بهذا الصدد ما أشار إليه الأمين العام الأسبق لمجلس التعاون الخليجي عبد الله بشارة أن الأمير سلطان هو الذي قاد بحنكة اجتماع مجلس وزراء الدفاع الخليجي عام ١٩٨٢م وأطلق فكرة قوات "درع الجزيرة" التي كان لها في مقبل الأيام دور، وأي دور...!

ويلخص الزايدي انطباعاته عن الأمير فيقول: "إن الأمير سلطان كان يمثل فعلا "روح" التأسيس، من خلال خطابه التقاربي، ونزعته نحو التسامح، وتكبير مساحات المشترك وتقليل هوامش الاختلافات، فعل ذلك مع الجميع، الأقربين والأبعدين، وكان دوما رجل المفاوضات الناجح. وهو أيضا رجل الصفح، والترفع عن الثارات الشخصية، كان أيضا يمثل النهج العجيب للحاكم السعودي في المزج بين المحافظة والانفتاح، والحزم واللين، باختصار كان ممثلا لروح عبد العزيز المؤسس."

وكان الأمير الراحل من الذين ساهموا مساهمة فعالة منذ تأسيس المملكة إلى يومه الأخير في هذا العالم الفاني، وهو شارك في بناء هذه البلاد التي أسست على التوحيد لبنة فلبنة حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، وتيقظت موهبته الفذة مبكرا، ولمسها والده الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود حين تولى مهام الحكومة، فكلفه في ريعان شبابه عام ١٩٤٣م رئاسة الحرس الملكي، وبعد أربع سنوات فوضه إمارة الرياض. وأدى مسؤولية هذا المنصب عدة سنوات في حياة الملك المؤسس، ثم تركه قبل وفاته قليلا. وبعد ذلك انتقل من مجال إلى آخر ومن مسؤولية إلى أخرى مع إخوته الملوك الذين حكموا البلاد على النهج الذي وجدوا عليه أباهم القائد.

وفيما يلي نذكر بعض المناصب التي تولاها في حياته الحافلة بالعمل والجهد:

• أصبح وزيرا للزراعة عام ١٩٥٣م في حكم الملك سعود حين قام الملك بتشكيل أول مجلس للوزراء، وأثناء توليه هذا المنصب جهز خطة توطين القبائل البدوية من جديد، وساعدهم في إنشاء مزارع حديثة. واكتشف الزراعة الحيوية التي أصبحت الآن من أسس الحياة الاقتصادية في المملكة.

---

[١] المصدر السابق.

● وبعد عامين تعين في منصب وزير المواصلات عام ١٩٥٥م، وأشرف على إنشاء الشبكة الحديثة الأولى من نوعها التي تربط الأماكن المختلفة في المملكة، كما أشرف في بناء النظام الوحيد للسكة الحديدية بين الرياض والدمام.

● وبعد ذلك انتخب وزير اللدفاع والطيران عام ١٩٦٢م، ووزارة الدفاع من الوزارات التي تعد أكثر حساسية في أي بلاد بسبب المهام المنوطة بها، وهذا يتطلب تعيين شخص يتميز بحنكة سياسية وقدرة فائقة وقيادة فذة. ولم يتحمل الأمير هذه المسؤولية على الرغم من أهميتها وخطورتها بكل الجدارة فحسب، بل استطاع أن يشارك في استقرار الدولة وازدهارها، وأن يقود البلاد إلى الأمان والسلامة على الرغم من الأحداث الجسيمة والتحديات العسكرية التي وقعت أثناء فترة توليه هذه الحقيبة من الوزارة. وسوف نواصل الحديث لاحقا عن هذه الأحداث وكذلك الإنجازات التي حققها كوزير الدفاع والطيران.

● ونظرا إلى خبرته وتفوقه وأمانته في أداء المسؤولية تم تعيينه كنائب ثان لرئيس مجلس الوزراء عام ١٩٨٢م.

● وبويع في يوم الاثنين، ١/أغسطس عام ٢٠٠٥م كولي العهد بعدما تولى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الحكم خلفا للملك الراحل فهد بن عبد العزيز. وهذا كان بالإضافة إلى المسؤوليات التي يؤديها كوزير للدفاع والطيران والمفتش العام.

رئاسة المجالس الإدارية واللجنات المختلفة:

وأدى الأمير سلطان هذه المسؤوليات بكل أمانة وإخلاص. وفوض إليه رئاسة أو نيابة رئاسة لعديد من المجالس والهيئات، ونذكر هنا بعضا منها:

● رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للطيران المدني.
● رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للخطوط الجوية العربية السعودية.
● رئيس اللجنة العليا للتوازن الاقتصادي.
● رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للصناعات الحربية.
● رئيس مجلس إدارة الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها.
● رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

- الرئيس الأعلى لمؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية.
- رئيس اللجنة الوزارية للبيئة.
- الرئيس الأعلى للخزن الاستراتيجي.
- رئيس اللجنة الخاصة في مجلس الوزراء.
- رئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم.
- رئيس اللجنة الوزارية للتنظيم الإداري.
- رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للغذاء والدواء.
- رئيس مجلس إدارة الموسوعة العربية العالمية.
- رئيس الجانب السعودي في مجلس التنسيق السعودي—اليمني.
- رئيس الجانب السعودي في مجلس التنسيق السعودي—القطري.
- رئيس المجلس الأعلى للقوى العاملة.
- رئيس مجلس إدارة الهيئة العليا للسياحة.
- نائب رئيس الهيئة العليا لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.
- نائب رئيس مجلس الأمن الوطني.
- نائب رئيس المجلس الأعلى لشؤون البترول والمعادن.
- نائب رئيس الهيئة العليا للاستثمار.
- نائب رئيس المجلس الاقتصادي الأعلى.
- نائب رئيس مجلس العائلة.
- نائب رئيس المجلس الأعلى للإصلاح الإداري.[1]

أهم الأحداث السياسية خلال أداء مسؤوليته كوزير الدفاع والطيران:

كان الأمير الراحل يعرف جيدا حقيقة وزارة الدفاع وأهميتها حينما تولى المسؤولية كوزير الدفاع عام ١٩٦٢م، وتزداد هذه الأهمية في دولة تملك شأنا كما تملكه المملكة العربية السعودية التي تعتبر ملجأ المسلمين الديني بسبب وجود الحرمين الشريفين فيها وملجأ الآخرين بسبب الخير الذي يكمن في باطنها. والأمير كان مستعدا كل الاستعداد لأداء ما

[1] الموقع الرسمي لوزارة الدفاع ووزارة الخارجية للمملكة العربية السعودية.

فوض إليه من المهام ولذا وجدنا أنه دبر الأمور خير تدبير في الفترة التي مرت فيها بلاده بتطورات خطيرة، وهو وفّق في القرارات التي أخذها أثناء أصعب مراحل تاريخ المملكة، ونذكر هنا بعضا منها لكي يعرف القارئ دهاؤه حنكته السياسية.

شهدت المملكة بداية القوات المسلحة بستين رجلا فقط، هم كانوا رفقاء الملك المؤسس عبد العزيز في الغزو الذي شنوه من أجل استعادة سلطان آبائه وأجداده على الأرض المطهرة، ثم نمت وازدهرت هذه القوات يوما فيوما حتى بلغت آلافا، وأشرف عليها خمسة وزراء للدفاع تتابعوا منذ تأسيسها، ويتميز دور كل منهم في تنسيق وترتيب هذه الوزارة وتوسعة نشاطاتها وتنمية أداء واجبها تجاه الشعب والبلاد.

وقد أسس الأمير جيشا سعوديا بعد توليه وزارة الدفاع على شكل جديد نراه اليوم، وبذل ما يملك من عنايته وركز في تحسينه تركيزا وطوره تطورات سريعة ونقله نقلات فائقة لا يهمله دارسو تاريخ المملكة. ولم يعتن بتأسيس الجيش فحسب، بل قام بإنشاء مدن عسكرية في الخميس وتبوك وحفر الباطن وغيرها. وعاشت هذه المدن ازدهارا واضحا حديثا من حيث التدريب والتسليح، ومضت الصناعة العسكرية قدما في التطور والجودة إلى حد استند عليها إقليم الخليج العربي.

وساير الأمير مع التطورات والأحداث الخطيرة والصراعات الصعبة والنزاعات الحرجة، وقام بدور بارز ومباشر في معالجتها. ففي الحرب التي اندلعت عام ١٩٦٧م بين إسرائيل والدول التي تجاورها، وفي مقدمتها مصر، بادرت القوات المسلحة السعودية بعد إعلان التجهيز والتهيئة وتحركت واحتلت مع أسلحتها الأماكن الأمامية على ساحل خليج العقبة، وساعدت الدول العربية الشقيقة لها باتخاذ المراكز العسكرية المقررة.

لا نجد أن القوات السعودية تقف مكتوفة الأيدي في حال تعرض البلاد للخطر تحت قيادة الأمير الراشدة، بل إنها تسعى في الدفاع وحماية النفس سعيا مشكورا. وهكذا تبادر أيضا إلى الدفاع عن جيرانها من كل مكروه. ففي الستينات ساهمت المملكة مساهمة فعالة في صد العراق من السيطرة على الكويت. وانتقلت قواتها مع القوات التي دخلت الكويت للحماية من التهديد العراقي بدون أي شرط. ولا يزال الكويتيون يذكرون هذا الموقف الحازم للسعودية والواقي من احتلال بلادهم كما يذكرون مساعدة المملكة بعد وقوع

العدوان العراقي والاحتلال فعليا في المرة الثانية حينما هاجم العراق على الكويت في ٢/ أغسطس عام ١٩٩٠م. فقد رفضت المملكة منذ أول يوم هذا العدوان الغاشم الذي كان نتيجة عملية غدر، كما رفضت أي تعديل في حدود الكويت، واستقبلت الكويتيين النازحين استقبالا حارا حكومة وشعبا ووفرت لهم الحياة الكريمة. ولم يهدأ للأمير الراحل بال ولم يترك أي وسع حتى استعاد الكويتيون استقلال بلادهم، وعادوا إليها آمنين سالمين. وقد سبب تحمل عبء تحرير الكويت عن دفع تكلفة باهظة على المملكة ولكنها تقدمت بها عن طيب خاطرها.

وأخيرا هجمات ١١ من سبتمبر واتهام أميركا للسعودية بتمويل المنظمات والجمعيات المتورطة في أعمال إرهابية، وبعد ذلك شن الهجمات من قبل أمريكا على أفغانستان والاجتياح العسكري في العراق ضد نظام صدام حسين كانت من الأحداث والوقائع التي لا يمكن لدولة مثل المملكة نظرا إلى أهميتها ومكانتها المركزية في الخليج العربي أن يستهان بها. وفي جميع هذه الحروب كان الأمير يعني بالتفاصيل الدقيقة ويعمل بالتفكير والروية ويتخذ موقفا إيجابيا يعجب الجميع.

وكان قطاع الطيران جزءا مهما في حقبة الأمير الراحل الوزارية، ولم تكن عنايته به أقل من عنايته بالدفاع. فقد حاول محاولة جادة لتطوير المطارات وتعزيز الخدمات الجوية. ففي السنوات الأخيرة من عمره تم توقيع عقد تحت رعايته وإشرافه مع شركة "مطارات باريس للهندسة (ADPI) لمشروع تطوير مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة، والمبلغ المخصص لهذا المشروع يوازي ٥١٤ مليونا و٩٠٠ ألف ريال. ويقدر أن هذا المشروع سيزيد وسع المطار إلى ٣٠ مليون مسافر سنويا.

وأوضح المهندس عبد الله رحيمي، رئيس الهيئة العامة للطيران المدني السابق في تصريحاته قام بها للصحفيين أن الأمير الراحل أشرف على إيجاد شبكة مطارات تغطي السعودية كاملة، وعدد المطارات يبلغ فيها نحو ٣٠ مطارا محليا ودوليا، وهو بدأ أيضا برنامجا جديدا لإعادة تطوير تلك المطارات سواء من خلال توسعتها أو إدخال نظام حديث إليها، ومن بينها مطار ينبع وتبوك ونجران وبيشة.

وأضاف قائلا: "رفض المغفور له توقيع عقد المرحلة الأولى من تطوير مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة في الرياض، حيث إننا كنا حريصين على راحته، إلا أنه أصر على القدوم للمكان الذي يحتضن المطار، فقد تحمل عناء السفر وقدم إلى جدة من أجل توقيع العقد".[١]

التبرع والأعمال الخيرية:

لا يمكن لأحد أن يقوم بحصر جميع الأعمال الخيرية التي ساهم فيها الأمير الراحل حيث استفاد آلاف من الناس من مساعداته وتبرعاته وعنايته الكريمة، وقد دوّن التاريخ كثيرا منها ونسرد على سبيل المثال لا الحصر بعض حالات الأشخاص الذين غيّر الأمير الراحل حياتهم من المأساة إلى السعادة ومن العسر إلى اليسر، سواء كانت معاناتهم بسبب فقرهم أو عدم قدرتهم على حصول المنازل والمساكن لهم أو عجزهم عن معالجة مريضهم. ففي جميع هذه الأحوال الشديدة كان الأمير الراحل يبادر إلى مساعدتهم من حسابه الخاص أو يقوم بإرشادهم إلى الجهات المعنية في هذا المجال. وحينئذ يجدون أن مطالبهم لن يتم تجاهلها. وكان من المعروف أن الأمير لا يرد أي شخص بدون تقديم حل سريع وعاجل لمشاكله ومتاعبه.

وقد كتب الذين سنحت لهم فرص العمل معه في الإقامة أو المرافقة في الأسفار عن الأمير في المجلات والجرائد أنه كان يحرص كل يوم على قراءة الصحف وتكليف فريق من مكتبه للبحث عن المحتاجين للعلاج أو ممن مرت بهم ضائقة مالية أو الذين أطلقوا صوت استغاثة ممن حكم عليهم بالموت لعدم قدرة ذويهم عن دفع ديات تصل إلى عشرات الملايين مقابل الإعفاء عنهم.[٢]

ولخص صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز –حفظه الله- وزير الدفاع حاليا وأمير منطقة الرياض سابقا الحديث عن شخصية الأمير الراحل بقوله في جريدة "الوطن أون لاين" في ٢٠١١/١٠/٢٤م: "إن الأمير سلطان بطبعه منذ خلق، وهو

[١] مجلة "عين اليقين": ٢٨/أكتوبر ٢٠١١م.

[٢] جريدة شمس، العدد: ٢١١١/ ٢٠١١/١٠/٢٣م، وغيرها من الجرائد والمجلات كالشرق الأوسط والموقع الخاص للأمير –رحمه الله-

مؤسسة خيرية بذاته، وصاحب خير، ويسعى للخير، وكل مكان يكون فيه لا بد أن يكون له فيه عمل خير، فسلطان بحق هو مؤسسة خيرية قائمة بذاتها".[١]

مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية:

ويمكن إدراك مدى حرص الأمير على تقديم المساعدة إلى المحتاجين والمنكوبين والمعوقين أنه أسس مؤسسة خيرية باسمه لتوفير التسهيلات الإنسانية والاجتماعية والثقافية والصحية، وهو كان الرئيس الأعلى للمؤسسة ورئيس مجلس أمنائها طوال حياته.

وهذه المؤسسة أنشأها في ٢١/ يناير عام ١٩٩٥م وينفق عليها، وهي مؤسسة غير ربحية، وتهدف إلى تقديم الخدمات الإنسانية والاجتماعية والتربوية والثقافية والرعاية الصحية والانعاش للمحتاجين والمعوقين. وتهدف أيضا إلى إنجاز عدد من المشروعات والنشاطات، منها:

"مدينة سلطان بن عبد العزيز للخدمات الإنسانية": وضع الحجر الأساسي لهذه المدينة بيده المباركة في سبتمبر من عام ١٩٩٦م على أرض تبلغ مساحتها مليون متر مربع في منطقة بنبان التي تقع على بعد ٣٠ كيلومترا من شمال الرياض. وهي تعد من أكبر المدن للتأهيل الطبي في العالم، وتتكون من مركز متكامل لإجراء الفحوص الطبية والمخبرية والإشعاعية وغرفا خاصة بالعمليات الكبرى والصغرى ومركزا للتأهيل الطبي، وتحتوي المدينة على مركز لتنمية الطفل، والتدخل المبكر لمساعدة الأطفال الذين لديهم بعض الإعاقات البدنية والمشاكل الصحية، كما توجد في المدينة منشآت سكنية للموظفين. وتوفر في المدينة البرامج العلاجية المتطورة والتخصصات الطبية والجراحية المختلفة للصغار والكبار وللرجال والنساء. وأيضا توفر البرامج التعليمية للأطفال الذين يحتاجون إلى متطلبات تعليمية خاصة بسبب الإعاقة البدنية والاعتلالات التنموية والمشاكل الصحية المعقدة. والمدينة مجهزة بالمرافق والتسهيلات المتعلقة بالبنية التحتية أيضا كقاعة المؤتمرات وأجهزة اتصالات فضائية وصالة للنشاط الرياضي والنظام البصري المتطور ومركز

---

[١] جريدة "الوطن أون لاين: ٢٤/أكتوبر عام ٢٠١١م. وموقع CNBC عربية: الأحد، ٢٣/أكتوبر ٢٠١١م.

التدريب ومكتبة متخصصة وما إلى ذلك. وبلغت التكلفة الإنشائية لهذه المدينة أكثر من مليار ريال سعودي.

"مركز سلطان بن عبد العزيز للعلوم التقنية" (سايتك): يسعى هذا المركز إلى توسيع الأفق العلمي والثقافي من خلال منهجية التعليم بالترفيه والتعليم بالتجربة والمشاهدة وتبسيط الأفكار والمواضيع العلمية وتنمية رغبة الاستطلاع والاستكشاف في الأعمار المختلفة. وكانت التكلفة الإنشائية التي تبلغ ما يقارب ٢٧٠ مليون ريال سعودي هدية من الأمير الراحل لجامعة الملك فهد للبترول والمعادن في مدينة الظهران عام ٢٠٠٥م لإفادة أبناء المملكة والخليج. ويشمل المركز على المرافق العديدة تهدف كل منها إلى انجاز الرسالة التي أنشئ المركز من أجلها، وتحتوي المرافق على المعارض الدائمة التي تشتمل على ٦ نماذج من قاعات تساعد الرواد على معرفة مبادئ العلوم والتقنية ويركز على إيصال المعلومات وأفضل تدريب وأكثره تطورا للرواد. وهذا التدريب يساعد الرواد على التفاعل مع الموضوعات العلمية الهامة ويقوم بتنمية إدراكهم الذهني وتشتمل المعروضات على عالم الحياة، والجسم البشري، والحياة البحرية في الخليج العربي، وعلوم الأرض والأرصاد الجوية وعلم الفضاء، الفيزياء والرياضيات، تقنية النقل والمعلومات والتنقيب والتقنيات المستقبلية. ويوفر المركز المرافق الأخرى كمكتبة علمية متخصصة تضم أكثر من ٤٥ ألف كتاب، وعدة معامل للحاسب الآلي للدورات الدراسية، وقاعة محاضرات متطورة ومرتبطة بخدمة الاتصالات الفضائية وتتسع لـ٣٥٠ مقعدا، والقبة العلمية التي تستوعب ١٨٠ مقعدا وتعد الأولى من نوعها في الشرق الأوسط.

"برنامج سلطان بن عبد العزيز للاتصالات الطبية والتعليمية" (مديونت): هذا البرنامج يأتي ضمن البرامج التي توفرها مؤسسة سلطان بن عبد العزيز، ويهدف البرنامج إلى نشر التعليم الصحي عن طريق استخدام وتطبيق الوسائل التقنية المتطورة كنقل البيانات الطبية وخدمات التعليم عن بعد، ويهدف أيضا إلى إيصال الخدمة إلى أبعد قرية أو منطقة في المملكة العربية السعودية باستخدام شبكة الأقمار الصناعية والألياف البصرية والكيبل والميكروويف الرقمي. وينوي البرنامج إنشاء شبكة متطورة للمعلومات العلمية لتوصيل البيانات الطبية وتوفير التعليم عن بعد. وتشمل الخدمات الطببية للبرنامج مجالات الطب

الإشعاعي وطب العيون وطب الأسنان وطب الأنف والأذن والحنجرة وطب أمراض القلب. والتعليم عن بعد الذي يعتبر أحد أهم الأهداف للبرنامج يقوم بدعم ونقل فصول دراسية في التعليم المستمر، ودعم وتنظيم النشاطات التدريبية والتعليمية من مصادر محلية. وإنجاز برامج تعليمية تختلف بين إنشاء مدرسة علمية إلى مواد تعليمية من خلال شبكة الكمبيوتر. ويهدف البرنامج إلى تصميم وتطبيق الشبكات الافتراضية الآمنة أيضا.

"برنامج مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية للتربية الخاصة": تم إنشاء هذا البرنامج الأكاديمي المتكامل سنة ١٩٩٦م في إطار اتفاقية التعاون بين مؤسسة سلطان بن عبد العزيز وجامعة الخليج العربي بدولة البحرين. وساهمت المؤسسة في هذا البرنامج بما يقارب ٤ ملايين ونصف المليون ريال يوزع بالتساوي بين أعوام الاتفاقية الثلاثة، ويهدف إلى إعداد المتخصصين في مجال تربية المعاقين وتأهيلهم.

"مشروعات مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية للإسكان": هدف هذه المشروعات هو إنشاء الوحدات السكنية لتمليك الأسر المحتاجة، وقد تم إنجاز نحو ١٥٥٠ سكنا في مختلف مناطق المملكة، وتم تجهيز كل الوحدات بالأثاث وتزويدها بالخدمات اللازمة، وهي تضم كافة الخدمات البنية التحتية. وبلغت تكاليف الوحدات التي تم إنجازها حتى الآن ما يقارب ٤٤٠ مليون ريال سعودي.[١]

هذا ما عرفنا من خلال التصريحات المنشورة والمقالات المطبوعة، وهناك كثير من الأعمال الخيرية التي تختفي من عيون الناس والتي يلخصها الأمير بنفسه: "كل ما أملكه في المملكة من مبان وأراض وكل شئ عدا سكني الخاص ملك لمؤسسة سلطان بن عبد العزيز الخيرية". ومن أجل حرصه على العطاء والسخاء والذي يدركه القارئ في هذا القول لا ينساه أحد وكيف ينسى وهو يبقى في قلوب الناس وستبقى مآثره وأعماله الخيرية والإنسانية بإذن الله وتوفيقه.

***

[١] الموقع الإلكتروني للمؤسسة.

شخصية إسلامية

ذكريات مبثوثة
لصديقي الحافظ محمد إسماعيل عبد الحكيم الذي راحت حياته كعهون منفوشة

د. محمد عمران الأعظمي العمري
مصحح دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد

مما لا يمتري فيه زيد ولا بكر، ولا عمرو ولا عمر، أن الصوت الحسن لمنة كبرى من الله العلي العظيم، ولقد ورد في القرآن الكريم: "{يزيد في الخلق ما يشاء} (الآية الأولى من سورة فاطر) قال مجاهد: هو الصوت الحسن، وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/٤٦٢) من طريق جعفر بن غياث ووكيع، وأخرج الحاكم في المستدرك (١/٥٧) من طريق وكيع وأخرجه الدارمي (مسنده، ص: ٤٤٣) من طريق منصور عن طلحة، كلهم عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: زينوا القرآن بأصواتكم. (صحيح الجامع: ٣٥٨٠) وأخرج الحاكم في المستدرك من طرق عديدة عن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن. (صحيح الجامع: ٥٤٤٢) وأورد ابن أبي شيبة من طريقه عن أنس أن أبا موسى كان يقرأ ذات ليلة ونساء النبي صلى الله عليه وسلم يستمعن فقيل له، فقال: لو علمت لحبرت تحبيرا أو تشوقت (والصحيح: لشوقت) تشويقا، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٤/١/ ٨٠ من طريق يزيد بن هارون، وبالرغم من أن ابن أبي شيبة عقد بابا تحت ترويسة "في التطريب من كرهه" من طريقه عن عبد الرحمن بن الأسود قال: كان أحدهم (وفي رأيي أنه ابن مسعود رضي الله عنه) يمد بالآية في جوف الليل.

وأما التغني والتطريب بالقرآن الكريم لدى تلاوته فدرج القراء عليه في كل جزء من أجزاء هذا الكوكب الأرضي، ومن يكون قد استمع إلى عبد الصمد عبد الباسط أو المنشاوي لم يتلعثم ولم ينزع من تصديقي.

وتعريجا على الموضوع الرئيسي فإن صباي لقد مضى مع فتى كان آية من آيات الله في تلاوة القرآن الكريم والتطريب به، وكان يمد بالآيات حتى تنتفخ أوداجه وتطغى عليها الحمرة. وتلاوته كنا نسمعها بعد الفجر، وإن هذه التلاوة كان تستوقف أقدام أولئك

المتنزهين الذين يجتازون بيته، علما بأن بيته كان ملاصقا لبيتي اللهم الا أن سكة ضيقة لا تربو على مترين كانت تشكل الحد الفاصل، وتخطها المجاري المكشوفة.

ولقد انزاح عن ذاكرتي هل كان أكبر مني سنا أو كنت أكبر منه، ولكني لست مرتابا في أنا كنا من طلاب المدرسة العالية العربية التي كان موقعها على بعد رمية حجر من شركة "هندسي سي" التي كان يشرف عليها الشيخ "الحكيم الطريف" محمد مصطفى، وحسب رسالة أخي سلمان أحمد المؤرخة في ١٩/شباط ١٩٨٦، المتوفى على ١٨/٢/١٩٨٦ شقيق أستاذي الكريم فضيلة الشيخ محمد أبي بكر وأستاذي عمر صاحب الزيت النوراني، ولا يزال يوجد في الأسواق حتى الآن، ومن فضيلة الزيت الأحمر أن الرجل إذا قمر قطعت يده، فكان يضع الجزء المقطوع على باقي اليد ويغمسها في الزيت فينجبر ومن نظر في كتاب سمط النجوم العوالي في اخبار العوائل والتوالي لعبد الملك العصامي (١١١١هـ) وجد هذه القصة في كل بسط وتفصيل، وبدون وكس ولا تقليل، وأما شيخي محمد أبوبكر فكان ذا باع طويل وكعب عال في طب العيون وقرض الأبيات العربية الرنانة، ولما زار والي نجد والحجاز الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله الهند وزار بنارس، قام شيخنا بقرض قصيدة يشيد بحلوله في هذه الأرض الأسطورية، وذلك على ٢٧/نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٥م وبدايتها:

جـزى الله عني من أتاني فأطربا
فقلت له: أهلا وسهلا ومرحبا

والقصيدة بحذافيرها متوفرة في ملفاتي، وإن شاء الله سأذكرها لدى كتابة أحواله في هذه المجلة المنيفة، وفاضت أنفاسه الأخيرة على ٢١/آذار ١٩٧٦م يوم الأحد بعد أن أجريت عليه عملية جراحية معقدة، وقال خالي الأكبر الحاج ظهير الدين تابش الحجازي هذه القطعة "خلد آشيان حكيم أبوبكر نوره الله مرقده" لاستخراج ٧٨٦، وهو مجموع أعداد حروف التسمية، وفي "نوره" نظر إذ الهاء مدسوسة، فربما تطرق هذا الخطأ من الكاتب أو أدخلها المؤرخ لضبط التاريخ، والباب مفتوح لأصحاب علم الجمل، ورثاه صديقي ومرافقي إلى جامعة دار السلام عمر آباد فضيلة الشيخ عزيز الحق العمري، وبدايته:

مهـلا فقلبي لا يــزال يـــذوب
وعيناي من فقد الحبيب سكوب

وأرخ وفاته خالي المذكور في هذا العجز الأردي "ہے پاک دل طبیب کی تاریخ ارتحال" وهو عام١٩٧٦م.

والشيوخ محمد أبو بكر ومحمد عمر ومحمد مصطفى كانوا من سلالة الحكيم محمد ثناء الله بن الحاج نور محمد بن الحكيم جمال الدين، وكان نور محمد من أعوان المدرسة العالية، ولأستاذي الشيخ محمد أبي بكر قصيدة رثائية أخرى يرثي بها الشخصية الفذة الشيخ عبدالرحمن أبا النعمان شقيق جدي الشيخ أبي القاسم القدسي، وكلاهما كانا من خدام جامعة دار السلام الأوائل.

ويعذرني في التنحي عن الموضوع المثل الساير "الحديث ذو شجون".

فالآن أستميل بزمام يراعى إلى ذكر إسماعيل عبد الحكيم الذي كان تمثال صبر ومضي عزم ورباطة جاش، ما ابتغى الدنيا وعكف على اقتناء العلوم واستقاء المعارف، واجتناب المعازف، وبما أني كنت جارا له ملاصقا كنا نتلاقى كل يوم في المدرسة، والفرق بيني وبينه أنه كان مواظبا على الصلاة، وكنت من الذين هم عن صلاتهم ساهون، وكان دوما ينصحني في النكوب عما كنت فيه من الملاهي والملاعب، وكان يستمع إلى طرائفي ويتفجر ضحكا، وكان أخوه الأكبر محمد إبراهيم وأخوه الأصغر محمد عبد الرحمن في ثبت أصدقائي، ورأيت الشيخ إسماعيل دائما يزمزم بالآيات القرآنية أو يعكف على البحث عن حديث أو أثر أو ما يمت إلى العلم والمعرفة بأية صلة دقت أو جلت.

وفي ذلك الزمان، وهو العقد السادس من المائة التاسعة عشرة، فإن الشيخ الجليل عبدالرؤف الجاندانجري من نيبال كان يحل في مئونات بانجان ويخاطب الناس في جلسات تستمر حتى انبلاج الصبح، وكان عالما عملاقا، ضمته رابطة العالم الإسلامي في أعضائها، وصاح غراب البين بيننا فارتحل هو إلى نيبال وارتحلت إلى عمر آباد، ولما سافرت مع الشيخ كاكا عمر أمين عام جامعة دار السلام عمر آباد إلى الشارقة ونزلت في بيت علي عبد الله المحمود، لقيت الشيخ عبدالرؤف هناك برفقة الشيخ عبدالوحيد—المدير الأعلى للجامعة السلفية—وكانا (الشيخان عبد الرؤف وعبد الوحيد) منصرمين من مكة المكرمة بعد إبرام قضية انحراف شيك سعودي من الجامعة السلفية لأهل الحديث إلى الجامعة الإسلامية الحنفية، وأهل الحل والعقد السعوديون من أسخى الناس فما فعلوا شيئا لاسترداد شيك المعونة من الأحناف بل منحوا الجامعة السلفية لأهل الحديث ما فاتها فالله يرحمهم.

وكان الشيخ علي عبد الله عالما كبيرا، وكان يستمع إلى كلامي اللبق في كل توقان وكان يلقبني بالأخباري، وكان ثانيا للسلطان محمد القاسمي الذي بنى مسجدا في إسبانيا فقلت فيه:

غرناطة العصر الحديث بها بنيت المسجدا

ركبت في جـدرانه والله يجـزي العسجدا

وكنا في القصر السلطاني، وجرى بيني وبين بدوي مساجلة عربية فهزمت البدوي هزيمة نكراء، فأعطاني السلطان جائزة قدرها ثمان مائة درهم فأحلتها الى رفيقي في السفر كاكا محمد عمر نظرا إلى حديث ابن اللتبية، وبنى السلطان مسجدا في أسبانيا فمدحته في قصيدة طبعتها صوت الأمة وتبتدئ بالشعر الماضي.

فلدى حلول الشيخ عبد الرؤف في بليدة مئو كنت أنا وأبي الحافظ عبد القيوم الأعظمي العمري والحافظ محمد اسماعيل نشكل مثلثا حركيا، فأبي كان يكتب الملصقات الدالانية والاشهارات والبنود والأعلام إذ أنه كان خطاطا جميلا، والحافظ إسماعيل كان يرتل القرآن الكريم ترتيلا وأنا العبد المتواضع كنت أنشد نعت النبي صلى الله عليه وسلم فإن صوتي — أنا الآخر — كان حلوا بهذا.

كنا في قمة الفقر وشظف العيش، فإن أبي كان خالي الوفاض عن درهم ولا دينار، وكان كاسب اللقمة وحده، ولم يحالفه الحظ على الفوز بعمل في القطاع الخاص ولا العام.

وكنا ننسج الساريهات المنوالية لأحد من أخوالي الظلمة فلا يعطينا ما نسد به الرمق، ولا أبوح باسمه إذ هو ماض إلى الله والأشراف لا ينهالون سببا على الأموات، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كفوا عن مساوئ موتاكم"، وكنت أول ما أنصرف عن المدرسة العالية والشمس محرقة آخذ في حجري أصغر إخوتي محمد سلمان، وأتغلغل في الجنان حتى آتي برزمة حطب فتطبخ أمي بعض أرغفة الشعير فكنا نقاسمها شر قسمة، وكانت أمي تضحي بحصتها لي إذ كنت من الأكالين، والشيء الطفيف "لا يسمن ولا يغنى من جوع"، ولما بلغ نبأ فقرنا المجتاح أذني أم إسماعيل بدأت كل يوم ترزخ لنا بالأطعمة والثمار والخضار إذ كان زوجها الشيخ عبد الحكيم عبد العلي تاجرا ثريا، وإن مريم وزبيدة أختي إسماعيل كانتا تتأففان لحالتي البائسة، إذ كنت لا أجد قميصا أتقمصه ولا إزارا أتزر به فكنت أكتفي بالملبس الداخلي "البنيان" المشقوق والتبان المحلوق، ومرة عدت إلى البيت بعد مضي جنح من الليل فوجدته مقفلا، فأردت تسلق الجدار فانسلخ الطوب وتهاويت على الأرض فأصابتني جروح شديدة،

فهرع الناس ونقلوني في ديوان الشيخ عبد الحكيم واستدعوا الدكتور عبد الرحيم، وكان عداده في الأطباء المهرة آنذاك، فأعطاني الحقنة فأفقت وعدت إلى صوابي وإذا سمعت مريم وزبيدة تبكيان على حالي المنهارة وكان الدم يسيل من أذني فخافوا علي المنية، فرحم الله أم مريم الرحيمة ومريم المتعاطفة وزبيدة البريئة، اللهم إلا أني في آخر رحلتي إلى مئو لم أسمع عن زبيدة خبرا، وسألت الكثيرين عنها فلم يجيبوا بشيء صريح يشفي القلب، وأبتهل إلى الله مولاي الكريم أن يغدق عليها كل آلاء الدنيا والآخرة، وكلما عدت بعد انصرام سنة أو سنتين أو ثلاث سنوات من عمر آباد أو حيدر آباد كانت أم اسماعيل تزورني مع أختي إسماعيل، وكن يسمعن إلى كلامي الذي لا يكاد ينتهي في كل عناية وتركيز ومن شعري:

وقضيتي يا صاحبي كيف أبتدي

فـــإذا بـدأت فـلا أكاد أنتـهـي

أجبرني أبي، وكم نعمة جاء هذا الاجبار للخروج إلى عمر آباد — تلك البقعة النائية التي ملّ الناس عن شد الرحال إليها، وانقطعت الوشائج بين أهل أسرتنا في عمر آباد وبين أسرتنا في مئو، والفضل يرجع إليّ، بل إلى أبي الكريم، والشيخ محمد عزيز الحق العمري أنا أحيينا العلاقة "الميتة" لو صح التعبير، فلم تقطع هذه الوشيجة وبدأ الطلاب من مئو ينهالون على عمر آباد وأخذوا من منهلها العذب وانتشروا في البلاد بين كاسبين ومبلغين، ولا يزال هذا المسلسل جاريا على قدم وساق، وما أحسن سلوكيات الأسرة العمر آبادية فقد بدأوا يزورون أهاليهم في مئو وكانوا تناسوهم اللهم إلا في صورة المراسلات ولم يكن الخط التليفوني شائعا آنذاك.

ذهبت إلى العالم الجديد عمر آباد وتفوقت في الدراسة وحطمت كل الأرقام القياسية في الامتحان إذ منحني أستاذي الشيخ عطاء الله المجذوب درجة وهي (١٠٣) بالمائة، وذلك في كتاب "البلاغة الواضحة".

وانقطعت عني أخبار الشيخ إسماعيل حتى أني لما زرت الرياض في شتاء عام ١٩٧٨م وحللت في فندق "صحارى بالاس" بالقرب من مطار الرياض القديم، وحسب البرنامج المخطط فقد زرنا ديوان الشيخ ابن باز وكان يتولى الرئاسة، ولما احتللت الكرسي في ردهة الانتظار وجدت على بعد أربعة أمتار رجلا كث اللحية معتما بعمامة العرب ويشاكه وجهه الجميل وجه الشيخ إسماعيل، فتأملت وتأملت في حليته، ولما تيقنت انه ليس غير الشيخ

إسماعيل لم أتمالک نفسي وصحت ملء الحنجرة "يا شيخ إسماعيل" فنظر إليّ نظرة منكرة، ثم رفعت صوتي في اللهجة البوجبورية وناديته "ايه اسماعيلوا" فتأملني بكل دقة وإذا به يعرفني ، فاندفع إليّ كالأعصار وعانقني كحبيب يعانق الحبيب، فقد كنا لقينا بعد انصرام عقدين من الزمن، ورجال ثلاثة ابتعدت عنهم لفترة عشرين سنة يأتي على رأسهم فضيلة الشيخ محمد مظهر السلفي، وصديقي في نعومة أظفاري محمد عبد العلي، والشيخ محمد إسماعيل.

تجاذبنا أطراف الحديث، وقد أخذ الشيخ اسماعيل مني مواعيد موثوقة ألا أنفصل عنه إلى فندق بريستول بدون زيارة بيته، ولما دعانا — إياي والشيخ كاكا محمد عمر — ابن باز اقتحمنا مجلسه فسأل عن أحوالنا وأحوال عمر آباد ولم يكن يعرفني إذ كان شيخا ضريرا، وكان الحديث يدور حول طرق إنفاذ المعونات إلى دار السلام وإذا برجل مدراسي خرق التشريفات (البروتوكول) ودخل المجلس وجعل يشتكي إلى ابن باز مندوبا بأنه مبعوث في سري لانكا ولكنه يتدخل في مدراس أيضا، وكانت لغته لغة مشقوقة، فلم يفهم ابن باز شيئا، فقال: هل من أحد يفهمني حديث هذا الزائر، فقلت في كل أدب: أيها الشيخ! هذا الرجل يريد أن يقول: إن المبعوث من الرئاسة الى سري لانكا يعمل في سري لانكا وكذلک في مدراس، أي أنه يلعب على الحبلين، فالتمس يدي ووضعها على رأسه وأهال مطرا وابلا من الثناء على لغتي العربية المتطورة، وذهب بي وبكاكا إلى بيته فحضرنا مائدته، وكان إسماعيل قد غاب عن المنظر فتأسفت لذلک، وعدنا إلى الفندق وأخذنا الراحة أو القيلولة حتى الرابعة وصلينا العصر وإذا بجرس الباب رن، ففتحته وإذا بحسن حظي كان قارع الباب هو الشيخ محمد إسماعيل ، فمارس علينا كل الضغوط لزيارة شقته في الحي القديم من الرياض، فاعتل كاكا محمد عمر بمرضه القلبي وسمح لي بالخروج، فأخذنا سيارة التاكسي وبعد برهة وصلنا إلى شقة الشيخ اسماعيل فرحبت بي زوجته المتحجبة عني، ثم دخلت المطبخ وطبخت لنا أصابع اللحم التي نسيمها، "پلوری" وقدمها لنا مع فناجين الشاي الكثيف، وهي أخت زميلي "أبي ذر بن أسلم صاحب النشوار" وهو يدعي انخراطه في سلک كبار الشعراء بينما أبياته غير متقنة تماما وليس إتقان هذه الصناعة لعبة "اليد اليسرى" حسب المصطلح الأردي. وانصرفت الى حيدر آباد وانغمست في بحر لجي من المشاغل، وبعد سنوات متلاحقة زرت مئو، فوجدت الشيخ إسماعيل متنقلا إلى بيت جديد بالقرب من بيت صاحب مكتبة فهيم

الشهيرة، فلقيته هناك فعرفني بابنه فواز الذي كان خاض ميدان البحوث والتحقيق، ومن خلال تجربتي في المخطوطات فقد بينت لفواز حكما وطرقا للبحوث، فسرت اسماعيل هذه المبادرة الطيبة وقدم لي صينية مشحونة باللوز والمكسرات الأخرى.

دارت عجلات الزمن ولم أسمع شيئا من أخبار إسماعيل ولا فواز، وبعد وفاة أبي فلم يكن أحد يطلعني على أخبار بليدتي، وأما رسائل أخي الأصغر فلم تتعرض للمواليد ولا الوفيات، بل تركزت على حيل جذب أموالي الباهظة إلى رصيده ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولم يكن أقل من برق لما سمعت نبأ إصابة الشيخ اسماعيل بمرض لا علاج له، فعدت أدراجي في مئو وعرضت عليه أن يرافقني إلى حيدرآباد للعلاج فإن حيدر آباد أصبحت مركزا دوليا للعلاج الطبي ويرتادها المرضى من جميع أصقاع العالم، فحيدرآباد تعتبر الآن عاصمة الهند الطبية، ولكن الشيخ إسماعيل رفض في كل أدب وتواضع ما اقترحت عليه وقال كمتوكل على الله: "إن الموت والحياة بيد الله ولا أخاف الموت يا أخي عمران".

انصهرت هذه الكلمات البلجاء في أذني وتعجبت من حسن صبره واستسلام نفسه إلى المالك الحقيقي فسلمت عليه ودعوت له ورجوت منه إبقائي في نواخل دعائه، وكان هذا آخر عهدي به وحيل بيني وبينه، وإذا بتلفون من مئو ينعاني بموته فذرفت عيناني وصاح قلبي ولم أجد بدا من أن أقول "إنا لله وإنا إليه راجعون".

هذا كان الشيخ إسماعيل ! الجبل الشامخ من الصبر والحلم، والعيلم الرحيب من العلم والمعرفة، والتوقان الجليل إلى القرآن الكريم وعلومه ومتفرعاته، وببعض التحريف.

هذا "أبو الفواز" على نعشه

تعالوا فانظروا كيف تسير الجبال

ملحوظة: كان بيني وبينه مكاتبات وطلب مني بعض كتب الدائرة فأسعفته بها فالله يرحمني ويرحمه ويجعلني جاراله في الجنة كما كنا جارين في الدنيا.

***

وبمجرد الصدفة، وقبل مغادرتي لجامعة كاليكوت للاشتراك في ندوة حول كيفية تحرير المخطوطات إذ كنت أبحث عن ملفات جدي الشيخ أبي القاسم القدسي — إمام الانجليز في كوشين، مليبار، وإذا في يدي خطاب تفضّل بتوجيهه إلي صديقي الحميم محمد إسماعيل، يبتغي فيه مساعدتي على اكتشاف نسخة للقواعد الفقهية، والخطاب مؤرخ في ٣٦

/ ٩ / ١٩٨٤، أي قبل ٢٧ عاما بالضبط، وها هو نصه في الأردية وقد ترجمته إلى العربية حتى يتسنى للقارئ العزيز فهمه:

بسم الله الرحمن الرحيم

غرة محرم الحرام ١٤٠٥هـ

٢٦/سبتمبر ١٩٨٤م

أخي المحترم المولوي عمران العمري

سلام الله عليكم وعلى من لديكم ورحمته وبركاته

أنا بخير وعساكم بخير، كما آمل أن مزاجكم يكون في عافية، وأما أنا فقد حفتني نواخل دعائكم، ولقد وصلني نعي والدكم الكريم بعد أسبوع من مغادرة مئو، ولقد هزّت قلبي قراءة الخطاب الناعي وتأسفت كثيرا الفراق شخصية تحمل مزايا كبيرة في منطقة مئو الغربية ولكني لم أجد مندوحة عن الاسترجاع فإنا لله وإنا إليه راجعون – نضر الله جنانه في كنف رحمته وأعطاه مكانا في أعلى عليين ووفق ذويه للصبر الجميل.

ورفيق لنا ينتهي عن السنة التمهيدية وهو يقوم بتحقيق تأليف من شيخ الإسلام العلامة ابن تيمية وهو "القواعد الفقهية "واسمه الثاني "القواعد النورانية" وذلك لاقتناء شهادة الماجستير، والكتاب مطبوع –والأغلب– بدون تحقيق، ولقد جعل المذكور هذا الكتاب موضوع رسالته، ونسخة مخطوطة من هذا الكتاب متوفرة هنا في المملكة العربية السعودية والبحث جار على قدم وساق عن مخطوطة أخرى،، فلو توفرت عندكم نسخة أخرى من هذا الكتاب فالمطلوب تصويرها، فلو كان بإمكانكم فعليكم تصويرها ثم إنفاذها على عنواني وكتابة تفاصيل الكلفة حتى أرسلها لكم بعد أخذها من صاحبي، والنسخة التي كانت هنا مرمية وكانت تباع في المزاد العلني وصورتها موجودة في المكتبة السعودية فأية نسخة تتوفر عندكم المطلوب تصويرها، وإذا لم تكن موجودة عندكم فإن توفرت في أية مكتبة أخرى وأنتم مطلعون عليها ويمكنكم اقتناؤها بسهولة فالمرجو أن تقدموا كل تعاون ممكن، وبذمتي كافة النفقات والكلفات ، وبما أن عنوانكم ليس عندي فإني أرسل هذا الخطاب على عنوان بيتي

وإن والدي الكريم سوف يرسله لكم على عنوانكم، والمأمول منكم كتابة عنوانكم ورقم تليفونكم حتى يمكنني الاتصال بكم مباشرة إذا مست الحاجة لاحقا، وعنواني مذكور أدناه:

SAUDIARAIB,RIYADH

شارع البطحاء العام، بقّالة النيل، عمارة النيل

أمام موقف الجنوب، محمد إسماعيل عبد الحكيم

ودعائي وودي للأطفال وتحيتي إلى "الكنة" وأم العيال –هي الأخرى– تسلم عليكم والسلام

محمد اسماعيل

١٩٨٤/٩/٢٦

انتهى الكتاب، وأسعفته بما كلفني به، وأنجز الحر ما وعد، وأدعو الله أن يمطر عليه شآبيب رحمته، وكم كان متعاونا مع الآخرين!

أولئك "أصحابي" فجئني بمثلهم

إذا جمعتك يا جرير المجامع

والجدير بالذكر أن عبد الحكيم هو أكبر الأبناء الثلاثة لأستاذي ومرشدي العلامة الفهامة الشيخ عبد العلي، الذي درسني بلوغ المرام، ويوسف وزليخا في الفارسية، وولده المتوسط الحبر النحرير والأستاذ الكبير عالي الكعب في العلم والأدب الشيخ محمد الأعظمي، وتلقيت منه شرح التهذيب، وكنت أجمع له الخيوط على الأعواد المدورة (دهركي) ولي معه قصة في هذا الشأن وسأفرد له مقالا آخر، وليوضع في الحسبان أن مجلة صوت الأمة التي يشرف عليها الشيخ أسعد الأعظمي هو نجل الشيخ محمد الأعظمي، وتولى هذه المهمة بعد منية رئيس تحريرها الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهري، ومن الطرائف أن شيخنا محمدا تزوج أخت الأزهري، فكان كل الأدباء والفضلاء ينخرطون في سلك واحد، فيا للعجب!

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

***

اللغة والأدب

الإعرابُ عن قضيّةِ الإعرابِ

قراءةٌ نقديةٌ موضوعيةٌ

(٢-٢) وسيم المحمّدي/المدينة المنورة

وأرى من المناسب أن أذكر هنا بعض ما يُقنِع القارئ وينقض هذه الفكرة، مستخلصا من كلام بعض العلماء في هذا الشأن، ومستفيدا من كلام الدكتور إبراهيم أنيس نفسه، فأقول —وبالله التوفيق-[1]:

١. إن الأستاذ جعل الإعراب لا قيمة له في بيان المعاني، وبالتالي الأصل هو السكون في آخر الكلمة، والحقيقة أن الحركات الإعرابية جزء من بِنية الكلمة حتّى عند ابن مُضاء[2] الّذي قد استأنس ببعض كلامه الأستاذُ في بعض الأحيان في تدعيم موقفه حيث قال: "وكما أنّا لا نسأل عن عين (عِظْلم) وجيم (جَعفر) وباء (بُرثن) لِمَ فُتِحت هذه؟ وضُمّت هذه؟ وكُسِرت هذه؟ فكذلك أيضا لا نسأل عن رفع (زيد)..."[3]، وإن كان قد يُعدّ قياس الإعراب على حركة البنية مبالغة أو شيئا منها_ أي: في عدم التعليل_[4].

٢. وجود الإعراب كاملا في بعض اللغات السامية القديمة كالبابلية والآشورية كاللغة العربية العظمى تماما يؤكّد على أهميته وقوّته وتماسك العربية به، ولاسيما وجود الإعراب بالحركة وبالحروف كليهما.

٣. القرآن الكريم الّذي وصل إلينا متواترا بالرواية الشّفويّة الموثوق بها معربا، فهل يعقل أنه صلى الله عليه وسلم قد قرأ مثلا: (الحَمْدُ للهْ رَبُّ العالَمينْ) بالتسكين في الأواخر؟!، كما أن الرسم القرآني أيضا يؤكّد على هذه الظاهرة وجودها وأهميتها.

٤. الشعر العربي بموازينه وبحوره لا يقبل نظرية الدكتور إبراهيم أنيس أيضا.

---

[1] ينظر للاستزادة: دراسات في فقه اللغة ص١٣٦-١٤٠، فصول في فقه اللغة العربية ص٣٨٢-٣٩٥، وفقه اللغة ١٦١-١٦٥.

[2] ينظر: الرد على النحاة ص١٦٠-١٦١.

[3] من أسرار اللغة ص٢٠٤.

[4] ينظر: دراسات في فقه اللغة ص١٣٤-١٣٨.

٥. يرى إبراهيم أنيس أن المعاني تُحَدَّد بالسياق بدون الحاجة إلى الإعراب، وهذا خطأ فاحش؛ إذ لا يمكن تحديد المعاني من السياق في كثير من الأحيان، وخاصة في الأسماء التي يتعذّر عليها ظهور الإعراب، ولاسيما أن المتكلّم كثيرا ما يحتاج إلى التقديم والتأخير في الشعر والنثر، والإعراب هو الذي يساعده في هذا الأمر كما هو مقرَّر عند النحاة والبلغاء واللغويين.

٦. يرى إبراهيم أنيس أن الأصل تسكين أواخر الكلم، وإنما يُحتاج إلى الإعراب والحركة عند الوصل، وفيه حرية للمتكلم، فيحرّك مراعيا أحد العاملين: طبيعة الصوت، أو انسجام تلك الحركة لِما تجاورها من الحركات.

ونقول: إن ذلك حاصل في الإعراب كذلك؛ لأن الإعراب استنبط من كلام العرب الفصحاء، وليس اجتهادا فحسب، والفصحاء لَمّا تكلّموا راعوا طبيعة الصوت العربي والمجاورة، حتّى لا تحدث نفرة صوتية، وكتب الأصوات تشهد على ذلك.

٧. يرى الدكتور أن القصص الواردة في قضية الإعراب مثل قصة ابنة أبي الأسود وقصة الصحابة والتابعين مجرد قصص مسلية طريفة، وهذا مخالفة للجمهور الذين قرّروا حقيقتها وما ينبني عليها، وما ينقض ظن الدكتور في أن بعض الصحابة لَمّا قرأ: (إنَّ اللهَ بريءٌ مِنَ المشركينَ ورَسولِهِ) بالكسر، كان يَفْهَمُ المعنى الصحيح؛ أنّه بنفسه قال: "فأنا أبرءُ منه". (؟)

٨. استدلّ الدكتور على عدم الصلة بين المعاني والإعراب، وبالتالي على عدم أهميّتها بأنه لو قُرِئ خبر صغير على رجل لم يتّصل بالنحو أي نوع من الصلة فإنه سيفهم معناه، ولا شك في أن هذه مغالطة؛ لأن الشخص المذكور يفهم منه بعضه على قدر الاستعداد، وإنّما سيأخذ الفكرة أخذا سقيما؛ بل أحيانا مشوّها.

٩. دعّم الدكتور موقفه بقوله: أنه لو تُسَكَّن كلمة (أُمَيْمةُ) في قول الشاعر:

قالَتْ أُمَيْمَةُ ما لِجِسْمِكَ شاحِباً

وكلمة (يُلائِمُ) في قوله:

أمْ ما لِجَنبِكَ لا يُلائِمُ مَضْجَعاً

وكلمة (تُحرِّقُ) في قوله:

أبى القلبُ إلا أمَّ عمرو وَأصبَحَتْ تُحرِّقُ ناري بالشّكاةِ ونارُها

لا يفسد ذلك الوزن الشعري وموسيقاه، والحقيقة أنه لا يخفى على مَن له أدنى ذوق في الكلام ما فيه من الخروج من النغمة الطيبة إلى ما ليس كذلك، مع المخالفة الجريئة إعرابا ووزنا _أي: نحوا وعروضا_.

ثم إذا ساغ ذلك في بعض الأماكن، وساعدت في ذلك طبيعة الانسجام الصوتي لبعض الحروف؛ هل يسوغ ذلك في كل مكان!!؟

١٠. نورد: إن النحاة وضعوا قواعد وقاسوا على كلام الفصحاء من الأعراب وغيرهم، وحدّد اللغويون لذلك حدودا، وقد شذّ عن ذلك بعض الأشياء، فلا يناقض كلامهم بالقليل ولا بالشاذ؛ إذ الاعتبار للكثرة مع القلّة، وللقياس مع الشاذ، سواء يتعلق ذلك بالقراءات القرآنية، أو كلام العرب الفصحاء، وقد وقع الدكتور في هذا كثيرا من جهتين:

أ. القياس، وقد ألغاه في البداية أو كاد.

ب. الاعتماد على القلّة والشذوذ.

١١. نقول في الأخير ما قاله الدكتور علي عبد الواحد وافي: "وإذا أمكن أن نتصوّر أن علماء القواعد تواطؤوا جميعا على اختلاق الإعراب، فإنه لا يمكن أن نتصوّر أنه تواطأ معهم عليه جميع العلماء من معاصريهم، فأجمعوا كلمتهم ألا يذكر أحد منهم شيئا ما عن هذا الاختراع العجيب. ولا يعقل أن يقبل معاصروهم هذه القواعد على أنها ممثلة لقواعد لغتهم، ويحتذوها في كتاباتهم، اللهم إلا إذا كان علماء البصرة والكوفة قد سحروا عقول الناس واسترهبوهم، وأنسوهم معارفهم عن لغتهم وتاريخها، فجعلوهم يعتقدون أن ما جاءوا به من الإفك ممثل لفصيح هذه اللغة"[١].

ومن هنا فلا ينبغي أن يقال: إنّ قضية الإعراب قصّة، وأن الروايات الواردة فيه قصص مسلية طريفة، وبناء على هذا فإن المتكلم ليس حرّا في اختيار الحركات المناسبة عند وصل الكلام؛ بل لا بد من مراعاة القواعد التي أُخِذَت سماعا واستنباطا وقياسا على كلام العرب الفصحاء من الشعر والنثر، وفوق ذلك على كلام الله عز وجل وكلام نبيّه صلى الله عليه وسلم، فهي قضية محكمة من قضايا اللغة العربية، وليست قصة لا حقيقة لها ولا أساس، كما أشار الدكتور صبحي الصالح إلى ذلك، وسَمّى الدكتور رمضان عبد التواب هذا الفصل بـ"قضية الإعراب".

---

[١] فقه اللغة ص ١٦٣.

١٢. إن هذه القضية _ وإن شكّك فيها بعض المستشرقين _ لما لها من أهمية باللغة وصلة قويّة بأصل اللغة العربية وأساسها؛ تناولها المستشرق نولدكه وشنع على مَن تشكّك فيه، حيث قال: "من الخطأ الشنيع الاعتقاد بأن اللغة الحية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فيها إعراب؛ فإن العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو"(١).

وقال المستشرق يوهان فك: "قد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية _ باستثناء البابلية القديمة _ قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي"(٢).

وقال بَرْجِشْتراسَر: "والإعراب سامي الأصل، تشترك فيه اللغة الأكاديّة، وفي بعضه الحبشية، ونجد آثارا منها في غيره أيضا"(٣).

فكيف نقول إذا: إن ظاهرة الإعراب قصة لا أساس، ولا قيمة لها، ولا حقيقة!؟.

وكيف نقول: إن المتكلّم حرّ في وصل كلامه، يتكلّم بأيّة حركة حسب المناسبة وطبيعة الصوت!؟.

وهل لغة العرب الفصحاء كانت تخالف المجانسة وطبيعة الصوت؟ وما أُخذت القواعدُ إلا منها!.

وهل القرآن يخالف المجانسة وطبيعة الصوت العربي؟ وكان مرجع النحاة ومعتمدهم في تقعيد القواعد!.

وأما ما شذّ وندر فيُحفظ، ولا يُقاس عليه، كما هو مقرر عند الأصوليين اللغويين!.

[النُّحاةُ أخضعوا الشعر لأحكامِهم بعد تحريفِه]

حينما بدأ العلماء بتقعيد القواعد في النحو وفي الصرف، وبدؤوا يستنبطون، ويقيسون، وبدأت المجالس تُعقَد، والمناظرات تعُمُّ، واشتدّت المنافسة، وهبّت ريح العصبية، بدأ بعض المنتحلين ينتحلون بعض الأشعار(٤) لأغراض شتّى: منها: دعم موقفهم في قضية من قضايا نحوية

(١) ينظر: اللغات السامية ص ٧٥.

(٢) ينظر: العربية ص ١٥.

(٣) ينظر: التطور النحوي ص ١١٦.

(٤) ينظر للاستزادة في موضوع الانتحال: المقال المنشور في مجلة صوت الأمة العدد الثاني عشر، شهر ذي الحجة ١٤٣١هـ، والعدد الأول، شهر محرم الحرام ١٤٣٢هـ بعنوان: (قضية الانتحال في الشعر العربي).

أو صرفية أو لغوية، ولكن لم يَخْفَ ذلك على الجهابذة من العلماء، والمتحمّسين للعربية، والذين كانت عندهم غيرة على هذه اللغة الشريفة، أمثال عمرو بن العلاء، والمفضل الضبي، والأصمعي والقاسم بن سلام، وغيرهم، ففتّشوا الأمر وبيّنوا الغثّ من السمين، ولا يعقل أنّ مثل هذه الأمور تجري والعلماء الخُلّص في العصر، والمناظرات تعقد، والحروب العصبية والمنافسة الشديدة تعمُّ الزمن.

وقد أشار إلى ذلك محمد بن سلام الجمحي في بداية كتابه "طبقات فحول الشعراء" وذكر منها أمثلة وقصصا واقعية تكشف عن جهود العلماء وخذلان المتحلين.

كما بين أن ذلك لم يخف على العلماء والنقاد المشتغلين بالشعر العارفين به[١].

ولا يفهم من وجود المتحل في الشعر أنّ ذلك كثير يعم القواعد والأصول فلا اعتبار لها، فإنّها مع قلّتها كُشِفَ الستار عنها، والّذي ينظر في كتب اللغة والنحو والصرف القديمة، ويمر بمؤلفات اللغويين القدامى أمثال سيبويه والفرّاء والأخفش والمازني والمبرد وغيرهم ليعرف هذا الأمر تمام المعرفة.

ولكن ــ مع الأسف الشديد ــ بعض الناس قد جعل هذا المنحول القليل المكشوف أمره مطيّة لما يراه ليصل به إلى ما يشاء.

فقد ذهب إبراهيم أنيس إلى أن النحاة أخضعوا الشعر لأحكامهم بعد تحريفه، وأن هذا التحريف يعمّ الأصول النحوية والشواهد الشعرية، مع أن الأمر ــ كما ذكر ــ ليس كذلك، فإنها مع قلّتها كُشِف الستار عنها.

ومن الغريب أنه ذكر في هذا الصّدد بعض الأمثلة الشعرية بخلاف ما وردت في الدواوين المعتمدة، فأراد أن يغيّره من الأصل، ويصرفه عن وجهه الصحيح الحقيقي[٢]، ولو أراد أن يُمثّل لبعض المنحول لما كان عليه صعبا، ولكنه حينما قرر أن الإعراب تابع للانسجام وطبيعة الصوت والمجاورة من الحركات، وليس بتابع للقواعد المقررة عند الجمهور من النحاة؛ ذكر مثل هذه الأمثلة، وبدأ يطعن في بعض الأصول المقررة، والحقائق الثابتة؛ فإنه يرى مثلا أنّ الكسرة التي جاءت على باء "معتبٍ" في قول الشاعر:

---

[١] ينظر: طبقات فحول الشعراء ١/٥-٧، و١/٤٦-٤٧.

[٢] ينظر: من أسرار اللغة ص٢٢٣ وما بعدها.

أَمِـنَ المَنونِ ورَيْـبِها تَتَوَجَّعُ والدَّهرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَن يَجْزَعُ

ما جاءت إلا انسجاما مع الكسرة التي قبلها على التاء، وليست نتيجة لحرف الجر [١].

ثم يركب الدكتور ما هو أصعب، ويرتكب ما هو أشدّ، فيرى في قول الشاعر:

قالَتْ أُمَيْمَةُ مالِجِسْمِكَ شاحِباً مُنْذُ ابْتَذَلْتَ، ومِثْلُ مالِكَ يَنْفَعُ

أنّ الكلمة "شاحبا" قد نطق بها الشاعر بكسر الباء؛ _ أي: شاحبٍ _ لتنسجم مع الحركة قبلها [٢].

ولا يقتصر على هذا، فيزعم في قول الشاعر:

أمْ ما لِجَنْبِكَ لا يُلائِم مَضْجَعاً إلا أَقَضَّ عليكَ ذاكَ المَضْجَعُ

أنّ الفتحة على عين "مضجعًا" يجب الإبقاء عليها لأمرين: أن العين تؤثرها، _ أي: من ناحية طبيعة الصوت اللغوي في العين _، وأنّها تنسجم مع الفتحة قبلها [٣].

ومن الغريب أنها _ أي: الفتحة _ ليست ناتجة عنده لأجل المفعولية، وأغرب منه أنه لا يرى في نفس البيت في الشطر الثاني:

إلا أَقَضَّ عليكَ ذاكَ المَضْجَعُ

أن العين في كلمة "المضجع" كان المفروض أن تكون منصوبة لأمرين: لأن طبيعة الصوت _ صوت العين _ تقتضي ذلك، ولأن الفتحة ستكون منسجمة مع الفتحة التي قبلها على الضاد، فيحرف كما حرف في السابق؛ وذلك لأنه علم أنه سيترتب عليه الإصراف، _ وهو اختلاف حركة الروي من الضمة إلى الفتحة _ فيحتاج إلى تأويل آخر ويقع فيما هو أشد، وهكذا تناقض أمره، وإذا تأملنا في قليل من الأمثلة الشعرية، وحاولنا أن نطبق قاعدة الدكتور تاركين قواعد النحاة لوقعنا فيما وقع الدكتور، وارتكبنا ما ارتكبه!!.

وحقيقة الأمر _ كما سبق _ أن العرب الفصحاء تكلّموا بكلام فصيح، واستنبطوا الأصول منه، وقعدوا القواعد في ضوئه، وما هو أعلى منه، وهذا كله متجانس مع ما يجاوره، _ أعني: حركاتها متجانسة مع ما تجاورها _، موافقة لطبيعة الصوت، إلا ما شذّ وندر، فيحفظ ولا يقاس عليه، وبذلك يمكن ضبط اللغة بالقواعد والأصول، ويمكن حراستها والحفاظ عليها.

---

[١] ينظر: من أسرار اللغة ص ٢٢٣.

[٢] ينظر: من أسرار اللغة ص ٢٢٣.

[٣] ينظر: من أسرار اللغة ص ٢٢٤.

خلاصة القول:

وفي آخر المطاف من هذا المقال نخلص إلى ما يأتي:

- إنّ للمحدثين جهودا مشكورة في دراسة اللغة العربية، والبحث في قضاياها المختلفة القديمة والجديدة.
- كتاب إبراهيم أنيس "من أسرار اللغة" كتاب قيم يحمل أفكارا جديدة تستحق الدراسة والبحث والمناقشة والأخذ والرد.
- القياس أحد أصول النحو، ولابد منه في باب تقعيد القواعد، وما ورد في ذلك من الإسراف البسيط لا يلغي هذا الأصل، كما أن الإسراف فيه في باب الفقه _ وهو أشد _ لا يلغي هذا الأصل فيه.
- ظاهرة الإعراب في اللغة العربية ليست قصة؛ بل هي ميزة من ميزاتها حافظت عليها من بين أخواتها السامية.
- المتكلّم ليس حرا في وصل بعض الكلمات ببعض، بل هذا الوصل خاضع للأصول والضوابط المقررة.
- قد وقع في الشعر العربي نحلٌ لا يعُمّ الشواهد الشعرية، وقد تصدّى العلماء له، وكشفوا عن عواره.
- الشاذ والنادر لا اعتبار له في تقعيد القواعد والأصول؛ بل الاعتبار للكثرة، والشاذ يحفظ ولا يقاس عليه.
- الدكتور إبراهيم أنيس وقع في تناقض واضح _ كما سبق _، في أثناء معالجته لقضية الإعراب، وقد وردت هذه الظاهرة عنده في صورتين:

أ. الاعتماد على القياس، وقد ألغاه في بداية الأمر، أو كاد.

ب. القياس على الشاذ والنادر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

ركن الطلاب

الابتلاءات والمحن

حسان أبو المكرم
السنة الأولى للفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

لا تخلو حياة أي مؤمن من الابتلاءات والمصائب والمحن والتجارب ومن المد والجزر والارتفاع والانخفاض.

وكل هذه الأشياء تمنح الإنسان فكرة جيدة وتجربة مفيدة ونصيحة جديدة في ما بقي من عمره وحياته، ومع كل هذا تزداد الحسنات والدرجات في ميزانه حتى وإن ابتلي بشوكة يشاكها كما قال عليه الصلاة والسلام: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه". متفق عليه.

فالمستدل من هذه الرواية أن المؤمن إذا أصيب بشوكة أو ابتلي بمصيبة يؤجر على ذلك.

وبعض الأحيان تكون هذه الابتلاءات من عند الله لمعرفة الأكرم والأحسن من غيره، فيقول الله تعالى في سورة الملك {الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور} (سورة الملك:٢)

ومن مقاصد وأهداف الابتلاءات والامتحانات معرفة الصابرين من العاجزين وتمييز المجاهدين من القاعدين، فيقول الله تعالى في سورة محمد {ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم} (سورة محمد : ٣١) وقال أيضا مبينا أقسام الابتلاءات وأنواعها ومبشرا للصابرين على هذه الابتلاءات {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون} (سورة البقرة: ١٥٥ – ١٥٦) ثم بشر الصابرين بالأجر الجزيل والمغفرة

والرحمة لهم وأنهم من الذين اهتدوا فكانوا فائزين، فقال: {أولئک علیهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئک هم المهتدون} (سورة البقرة: ١٥٧)

وإذا ألقينا نظرة على التاريخ رأينا أن الكثير من الأنبياء والصحابة والتابعين والأسلاف والعلماء والأئمة قد ابتلوا ابلاء شديدا وقد امتحن الله قلوبهم للتقوى!! فنوح عليه السلام ابتلاه الله بدعوة قومه ليلا ونهارا واستكبارا قومه عنه وعدم الاستماع والقبول، فنجاه الله من الكرب العظيم والأذى الكبير. وهكذا يبتلي الله أيوب عليه السلام حين يمرض مدة (١٨) سنة فقال في سورة ص {واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب} (سورة ص: ٤١) ولكن مع هذا يصبر أيوب عليه السلام وينيب إلى ربه تعالى فقال عز وجل {إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب} (سورة ص: ٤٤)

وهكذا يمتحن الله زكريا عليه السلام حيث جعله فردا بلا ولد، فقال زكريا عليه السلام كما حكاه الله في أحسن الكلام {رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين، فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه} (سورة الأنبياء: ٨٩-٩٠) فوهب الله له يحيى عليه السلام بعد مدة من الزمن وطول من الوقت وبعد ما غلب على زكريا عليه السلام الشيب كما قال تعالى في سورة مريم {قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائک رب شقيا} (سورة مريم: ٤)

ويمتحن الله يوسف عليه السلام حين يسجن لمدة سبع سنوات فيسألونه عن تعبير الرؤيا، فيبدأ بالدعوة إلى الله كما قال تعالى {يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار} (سورة يوسف: ٣٩) وحين يفارق والده يعقوب عليه السلام، وحين يكون في البئر وحده في ظلام بهيم، لا أحد يواسيه وحين تغلق مرأة العزيز الباب عليه وتقول له: هيت لک، فيقول: معاذ الله، وحين يشتاق للقاء أخيه بنيامين عليه السلام.

ويبتلي الله يعقوب عليه السلام حين ذهب إخوة يوسف عليه السلام به وألقوه في غيابة الجب وكذبوا على أبيهم بأن الذئب قد أكل أخاهم يوسف عليه السلام، وحين يطول الزمن

على يعقوب عليه السلام على لقاء ابنه يوسف عليه السلام فيذهب بصره من شدة البكاء وكثرته، ومع هذا يشكو بثه وحزنه إلى الله كما قال عز وجل في سورة يوسف {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله} (سورة يوسف: ٨٦) وبعد مرور زمن الصبر الطويل على هذه الابتلاءات يرتد بصيرا، ويفرح بلقاء ابنه يوسف عليه السلام.

وإبراهيم عليه السلام ابتلاه الله بلاء شديدا وحياة ابراهيم عليه السلام مضت كلها في الابتلاءات والامتحانات. ولنا دروس وعبر في حياته عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. فخاض وتأمل كثيرا في الإله ، فعندما رأى الكوكب قال هذا ربي، فلما غاب قال: لا هذا ليس بربي، فلما رأى القمر، قال هذا ربي، فلما أفل قال: لا هذا أيضا ليس بربي، وبعد تأمل شديد وخوض في الأمر قال في النهاية: {إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين} (سورة الأنعام: ٧٩)

وهكذا يكسر أصنام قومه المشركين وعندما عرف المشركون أن إبراهيم عليه السلام فعل هكذا بأصنامهم جمعوا له أحطابا وأخشابا وحرقوها وأضرموها بالنار، وبعد أن اشتعلت النار جيدا ألقوا إبراهيم عليه السلام فيها ليحرقوه ولكنه نجح في هذا الابتلاء وتوكل على الله وحده، وأيقن أن الله سينجيه من شرورهم وفتنهم ، فقال الله تعالى: {قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم} (سورة الأنبياء: ٦٩) فلم يشترط للنار البرد فقط بل اشترط بشيء آخر وهي السلامة لإبراهيم عليه السلام فيجد النجاح من الامتحان.

الأولاد نعمة عظيمة وأحب النعم إلى الإنسان المتزوج وأغلى شيء عنده في حياته، ولكن الله لم يهب إبراهيم عليه السلام أي ولد حتى يئس وظن أنه سيكون وحيدا بلا ولد، فيهبه الله إسماعيل عليه السلام بعد مرور زمن طويل وبعد مدة من اليأس، ولكن عندما بلغ إسماعيل عليه السلام السعي أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام في المنام أن يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام كما قال تعالى في سورة الصافات: {فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى} (سورة الصافات: ١٠٢)

واستعد ابن إبراهيم أي إسماعيل عليه السلام للذبح وقال: {يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين} (الصافات: ١٠٢) ثم يخرج إبراهيم عليه السلام بابنه مع السكين للذبح وللنجاح في الابتلاء والاختبار، فيفديه الله بكبش عظيم كما قال: {وفديناه بذبح عظيم} (سورة الصافات: ١٠٧) فينجح أيضا في هذا البلاء العظيم المبين كما أكد عليه القرآن أن هذا البلاء كان امتحانا عظيما: {إن هذا لهو البلاء المبين} (سورة الصافات: ١٠٦).

فيا أيها الحاملون لواء القرآن والسنة ويا أيها الباحثون عن الخلود في الجنة والنجاة من النار! علينا الاستعداد ليوم الرحيل ولا خوف ولا فزع من الاختبارات والابتلاءات لأن هذا أيضا يسبب النجاة والنجاح ويورث السعادة والفلاح وزيارة الأجر وتدريبا على الصبر.

أيها الإخوة! الأنبياء ابتلوا وامتحنوا ولم ينجوا من الاختبارات مع أنهم أنبياء، لهم مرتبة عظيمة ومنزلة رفيعة، فأين نحن منهم؟ وما هي منزلتنا ومرتبتنا أمامهم، ولماذا نفزع ونخاف من الابتلاءات والمحن؟ مع أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ومليئة بالمصائب والفتن للمؤمنين ومزخرفة لتضليل المسلمين! وهل ابتلينا مثل ابتلاءات الأنبياء؟ نعم وأكيد الجواب بـ (لا) فلماذا .... ؟ {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساءات والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب} (البقرة: ٢١٤)

أسأل الله الخير والصلاح والسعادة والفلاح والنجاة والنجاح.

***

من أخبار الجامعة

عدد من أساتذة الجامعة السلفية يشاركون في ملتقى العلماء والدعاة

تم عقد ملتقى العلماءو الدعاة في عاصمة البلاد نيو دلهي في الفترة: ٢١–٢٣/من ذي الحجة ١٤٣٢هـ = ١٨–٢٠/نوفمبر ٢٠١١م برعاية وزارة الشؤون الإسلامية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، وتنفيذ جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند. وأقيم الملتقى بمجمع الجمعية بمنطقة أوكهلا في نيو دلهي، حضره نحو مائة عالم وداعية من مختلف ولايات الهند ومن دولة نيبال.

وبدعوة من الجمعية الموقرة شارك في الملتقى وفد من أساتذة الجامعة السلفية مكون من كل من:

١–فضيلة الشيخ محمد يونس بن عبد المتين المدني

٢–فضيلة الشيخ محمد بن عبد القيوم المدني

٣–فضيلة الشيخ عبد الكبير بن عبد القوي المباركفوري المدني

٤–فضيلة الشيخ سعيد ميسور بن محمد إلياس المدني

٥–كاتب هذه السطور أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

وقد قام الشيخ محمد يونس بتقديم انطباعاته عن الملتقى في حفل الافتتاح، أما هذا العاجز فكان قد كلف بإلقاء محاضرة حول موضوع: "جهود أئمة الدعوة في نشر التوحيد واستقرار الأمن والسلام" كما أسند إليه تقديم الجلسة الأولى للملتقى بعد حفل الافتتاح. وكلفه الأمين العام للجمعية فضيلة الشيخ أصغر علي إمام مهدي بإلقاء "كلمة الدعاة" نيابة عن المشاركين في حفل الختام الذي عقد بإشراف ورعاية فضيلة الشيخ أحمد بن علي الرومي الموقر، المستشار الديني بسفارة خادم الحرمين الشريفين بنيو دلهي.

وقد بلغ عدد جلسات الملتقى –عدا جلستي الافتتاح والختام– ست جلسات، درس خلالها نحو ثلاثين موضوعا من الموضوعات ذات الصلة بالدعوة والدعاة مثل: وسائل الدعوة، موضوعات الدعوة، أصناف المدعو، صفات الداعية ... الخ كما تم البحث

والدراسة لموضوع: "جهود المملكة العربية السعودية في نشر العقيدة والدعوة" في جلسة مستقلة.

وقد تم تكريم المشاركين في الملتقى من العلماء والدعاة بالحقائب والكتب وشهادة الحضور، وذلك في حفل الختام المنعقد في مساء يوم الأحد ٢٣/١٢/١٤٣٢هـ=٢٠/١١/٢٠١١م.

اختبار نصف السنة في الجامعة

يبدأ اختبار نصف السنة للعام الدراسي ٣٣-١٤٣٢هـ = ١٢-٢٠١١م بالجامعة السلفية من يوم السبت: ٢١/١/١٤٣٣هـ=١٧/١٢/٢٠١١م ويستمر إلى يوم الخميس: ٣/٢/١٤٣٣هـ= ٢٩/١٢/٢٠١١م. ويشارك في هذا الاختبار نحو ثمانمائة طالب من الجامعة وفروعها الواقعة في مختلف ولايات الهند. وقد خصص ٣/أيام: ٥-٧/صفر لتصحيح أوراق الاختبار وإعداد النتائج، ثم تكون هناك إجازة لمدة أسبوع، بدءا من ٨/صفر ١٤٣٣هـ= ٣/يناير ٢٠١٢م وانتهاء في: ١٤/صفر ١٤٣٣هـ= ٩/يناير ٢٠١٢م، حيث تبدأ الدراسة المنتظمة للفصل الدراسي الثاني من يوم الثلاثاء: ١٥/صفر ١٤٣٣هـ=١٠/يناير ٢٠١٢م بإذن الله تعالى.

طلاب الجامعة يحرزون نجاحا باهرا في مسابقة:

في مسابقة لكتابة البحث حول موضوع: "الانحراف عن منهج الصحابة وآثاره السيئة على الأمة" فاز عدد من طلاب الجامعة السلفية بالدرجات العالية. وقد نظمت هذه المسابقة كلية الحديث الشريف بجامعة الإمام السيد نذير حسين الدهلوي في بنجلور، على مستوى الهند، وقد شارك عدد من طلاب الجامعة السلفية في هذه المسابقة ببحوثهم، وحالفهم التوفيق والنجاح بحمد الله، وكانت نتائجهم كالتالي:

١-حميد حسن بن فضل حق	السنة الثانية للفضيلة	فاز	بالدرجة الأولى
٢-حسان بن أبو المكرم	السنة الأولى للفضيلة	فاز	بالدرجة الثالثة
٣-عبد الفتاح بن عبد الودود	السنة الثالثة للفضيلة	فاز	في العشر الأوائل
٤-عرفان أحمد بن نثار أحمد	السنة الأولى للفضيلة	فاز	في العشر الأوائل

وقد استلم هؤلاء الطلبة جوائز نقدية وعينية وشهادات تقدير من قبل الجهة المنظمة للمسابقة. (الأعظمي)

***